أوراق في التاريخ الشفوي
قرى فلسطينية مُهجّرة

؟؟؟: للباحثة رشا أبو زيتون

؟؟؟: للباحث رشاد المدني

؟؟؟: للباحثة مليحة طعمة

جائزة العودة
للعام ٢٠٠٨

بديل / المركز الفلسطيني
لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين

أوراق في التاريخ الشفوي

الطبعة الأولى: نيسان ٢٠٠٩

الرقم المعياري الدولي: ٣-١٦-٣٣٩-٩٩٥٠-٩٧٨

الافكار والمضامين الواردة في هذه الاوراق تعبر عن وجهة نظر أصحابها،
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز بديل.

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز بديل

صور الغلاف: (المصدر: ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟)

بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
بيت لحم، فلسطين.
ص. ب. ٧٢٨
هاتف: ٠٠٩٧٢٢٢٧٧٧٠٨٦
تلفاكس: ٠٠٩٧٢٢٢٧٤٧٣٤٦
بريد ألكتروني: info@badil.org
صفحة الانترنت: www.badil.org

حول جائزة العودة السنوية *

أطلق بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين رسمياً مشروع جائزة العودة السنوية في كانون أول من العام ٢٠٠٦، وذلك بعد سلسلة طويلة من المشاورات الداخلية ومشاورات مع العديد من المختصين وشركاء المركز. و تهدف الفكرة الأساسية من وراء هذا المشروع إلى تفعيل وإطلاق الطاقات الكامنة بين عموم أبناء الشعب الفلسطيني، وتشكيل منبر لكل المُبدعين والمُبدعات من الفلسطينيين المؤمنين بحقوقهم وعدالة قضيتهم والمُصممين على الانتصار لشعبهم، وكذلك لتكون ملتقى وطنياً جامعاً يجمع الفلسطينيين من كل أرجاء العالم، من فلسطين التاريخية والمنافي، حول حق العودة إلى الديار الأصلية.

شملت جائزة العودة للعام ٢٠٠٧ خمسة حقول هي أدب الأطفال، والبوستر، والورقة البحثية، والتاريخ الشفوي، والأفلام القصيرة، وأضيف إليها في العام ٢٠٠٨ حقلا جديدا هو القصة الصحفية المكتوبة. وللتأكيد على الشفافية والمصداقية، فقد قرر مركز بديل الاستفادة من خبرات نخبة كبيرة من خيرة أبناء الشعب الفلسطيني المختصين، من كتاب، وفنانين، وصحفيين، ومخرجين وباحثين وأساتذة جامعات، ليوجهوا مشروع جائزة العودة، وليشكلوا لجان تحكيم مستقلة عن مركز بديل تتولى مهمة إصدار أحكامها بصورة حيادية. وقد وضعت لجان التحكيم فعلا، معايير علمية وموضوعية لتقييم المشاركات وإصدار أحكامها النهائية. وقد تألفت لجنة تحكيم جائزة العودة في حقل التاريخ الشفوي للعام ٢٠٠٨ من كل من الدكتور عادل يحيى، الدكتورة سونيا نمر، الدكتور مصطفى كبها، الدكتور نايف جراد، والدكتور عدنان شحادة

حول هذا الإصدار

يحتوي هذا الإصدار على الأوراق الثلاث الفائزة في جائزة العودة للعام ٢٠٠٨ وهي على التوالي: "قرية صبارين"، للباحثة رشا أبو زيتون الفائزة بالجائزة الأولى، و "قرية حمامة" للباحث عبد الحميد الفراني الفائز بالجائزة الثانية، و "قرية أبو كشك" للباحثة أنوار مرعي الفائزة بالجائزة الثالثة.

ويصدر بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين هذه الأوراق التزاما بتعهداته المبينة في شروط جائزة العودة الخاصة بحقل التاريخ الشفوي والتي تقضي طباعة ونشر الأوراق الفائزة في الجوائز الثلاث الأولى. وحيث يدرك مركز بديل أن البحث في مواضيع التاريخ الشفوي ذو طبيعة خاصة بما لها من حساسية عالية كونها تتصل بشكل مباشر بأشخاص الرواة، والمروي عنهم، وبوقائع مستمدة من الذاكرة وغيرها، فقد آثر مركز بديل بناء على توصيات أعضاء لجنة التحكيم على قصر عملية التحرير على الجوانب الشكلية والفنية قدر الإمكان. ورغم أن بديل يملك حقوق الطباعة والنشر، إلا انه واحتراما للملكية الفكرية والأدبية لأصحاب الأوراق المنشورة هنا، لم يتدخل في مراجعة أو تدقيق أيا من الأفكار، أو المضامين، أو الأسماء، أو الوثائق، أو الصور الواردة فيها. من هنا يود مركز بديل التأكيد على أن أي خطأ أو نقص أو خلل في العرض، أو التوثيق، أو الاستنتاج هي مسؤولية المؤلف/ة. وعليه، فان كل مؤلف/ة يتحمل وحده/ا المسؤولية القانونية والأخلاقية عن محتويات ورقته/ا

* للمزيد من المعلومات حول جائزة العودة، أنظر موقع مركز بديل على شبكة الانترنت: www.badil.org

المحتويات

الورقة البحثية الأولى.....ص٧
قرية صبّـارين
للباحثة رشا أبو زيتون

الورقة البحثية الثانية.....ص٣٥
قرية حمـامـة
للباحث عبدالحميد جمال الفراني

الورقة البحثية الثالثة.....ص٦٩
قرية أبو كشـك
للباحثة أنـوار مرعـي

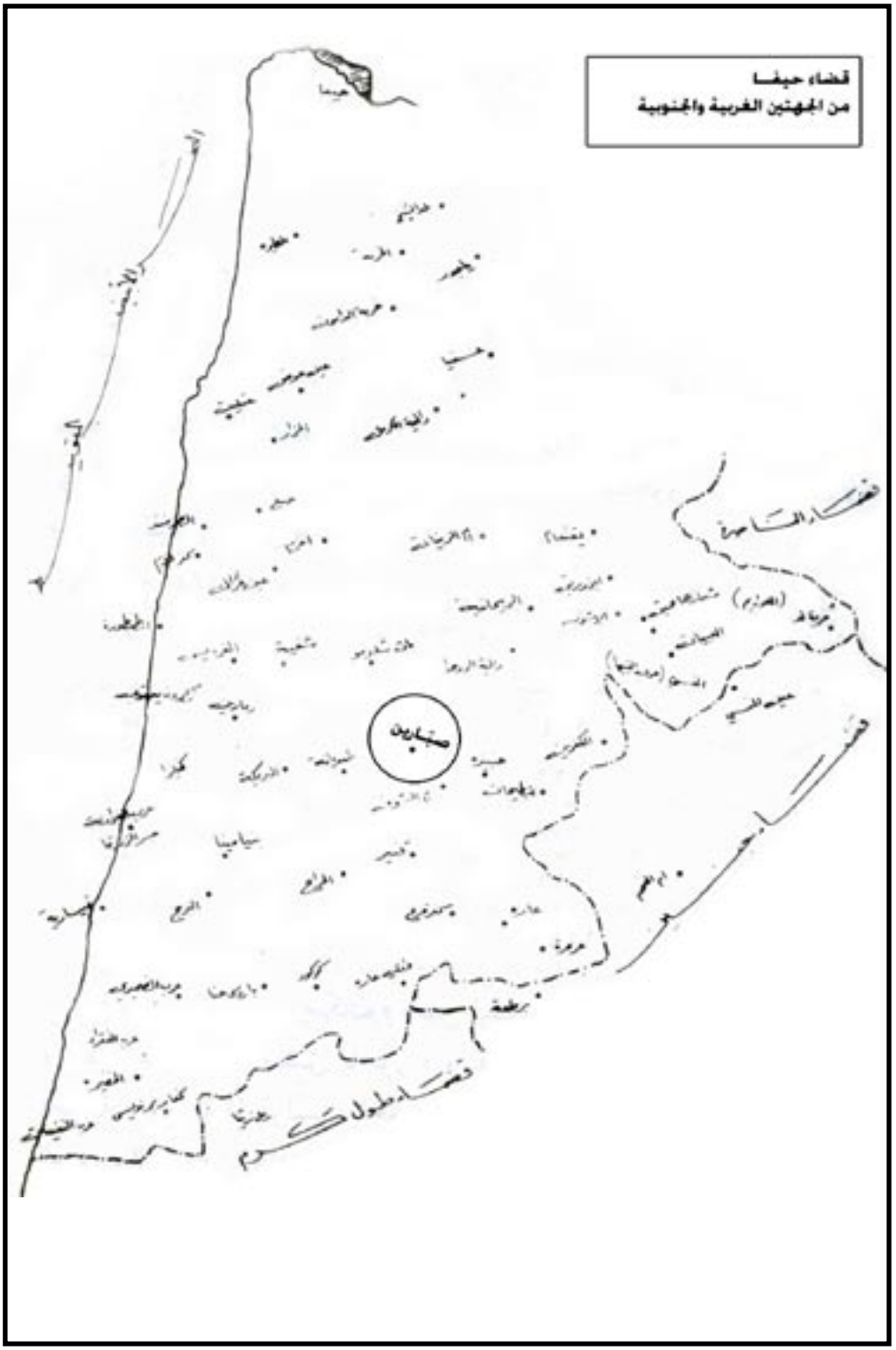
قضاء حيفا
من الجهتين الغربية والجنوبية
قضاء الناصرة
قضاء طولكرم

الورقة البحثية الأولى

قريــة صبَّـاريــن

رشـا عمـر أبو زيتـون*

الفصـل الأول: جغرافيـة القريـة

الموقـع

تقع قرية صبَّارين على بعد ٣٥ كم جنوبي حيفا عن طريق مرج ابن عامر، وتقوم على ارتفاع ١٠٠ متر فوق سطح البحر في الرُبع الجنوبي لجبل الكرمل في منطقة مُحاطة بالجبال من جميع الجهات على رافد من روافد وادي الغدران، احد روافد نهر الزرقاء، الذي يلتقي به على بعد ١,٥ كم جنوب القرية.[١]

وتقع القرية على طرفي وادي التين الذي يعبر القرية من الشمال إلى الجنوب وكانت تصلها طريق فرعية تصلها بطريق حيفا جنين العام والطريق الساحلي.[٢] ويحد القرية من الشرق قرية الكفرين وخُبيزه والريحانيه، ويحدها من الشمال قرية أم الزينات وعين غزال، ويحدها من الشمالي الغربي مستعمرة "بات شلومو" وقرية شفية أو (شفيا) العربية ، ومن الشمال الشرقي دالية الروحا. كما يحدها من الجنوب الشرقي قرية أم الشوف، ومن الجنوب الغربي قرية السنديانة.[٣]

السكان

تعتبر قرية صبَّارين من قرى قضاء حيفا الأولى من ناحية تعداد السكان، حيث بلغ عدد سكانها في القرن التاسع عشر نحو ٦٠٠ نسمة. وفي العام ١٩٢٢، قدر تعدادهم بنحو ٨٤٥، وفي العام ١٩٣١، ارتفع العدد إلى ١,٠٨٠ نسمة لهم ٢٥٦ منزلاً. وبلغ عددهم حسب

---

* **رشا أبو زيتون**: الحائزة على المرتبة الاولى في جائزة العودة في حقل التاريخ الشفوي لعامين متتاليين ٢٠٠٧ و٢٠٠٨، عن بحثها "الحرم-سيدنا علي" وبحثها "قرية صبّارين" . وهي باحثة في مجال التاريخ الشفوي من مواليد طولكرم.

إحصائيات عام ١٩٤٥ نحو ١,٧٠٠ نسمة، فيما بلغ عددهم في عام النكبة بنحو ١,٩٧٢ نسمة.[٤] في العام ١٩٩٨، قدر تعداد اللاجئين من قرية صبَّارين بنحو ١٢,٠٠٠ لاجئ.[٥]

المساحة والأراضي

تعد صبَّارين من القرى الكبيرة في حيفا من ناحية مساحة أراضيها الإجمالية أيضا، حيث تعد الثامنة على نطاق القضاء. وبموجب إحصائيات عام ١٩٤٥، بلغت مجمل الأراضي في صبَّارين ٢٥,٣٠٧ دونمات.[٦] كما تعتبر صبَّارين القرية الرابعة من قرى قضاء حيفا من حيث "مسطح البناء" والذي وصل الى ١٧٩ دونما في العام ١٩٤٥.[٧]

تملك الفلسطينيون من مجمل أراضي صبَّارين حوالي ١٩,٨٤٠ دونماً، وبلغت مساحة الأراضي المشاع حوالي ١,٢٥٨ دونماً، فيما تسرب للصهاينة حوالي ٤,٢٠٩ دونماً (نحو ١٦٪) من مساحة القرية الإجمالية.[٨]

وتعتبر سهول صبَّارين خصبة جداً وذات تربة غنية بالمواد العضوية، ومنها ما هو مروي كسهل السّد، وسهل السناجق، وسهل الفوّار، الذي يروى من ينابيع الفوارة التي تسيل في سهل النخلة جدولاً يدعوه الفلاحين "وادي المشراع" ويعرف عادة بوادي الدفلي. وسهل النخلة خصب جداً كان يزرع فيه القمح والشعير والبطيخ والخضروات والفواكه.[٩]

أما أسماء قطع الأراضي في قرية صبَّارين فقد كان منها: أراضي الغفر، أراضي عين الحجة "العليقة"، أراضي المشراع، أراضي عمشا، أراضي الخلايل، أراضي أبو شقير، أراضي جلا، أراضي الخضيرة، أراضي جرماشي،[١٠] أراضي الشومرية، أراضي جاسر، أراضي دبة الزعتر، أراضي السومرية، أراضي الجرم، أراضي العماير، أراضي السناجق، ظهر سليط، أراضي سويدة، أراضي البيدي، أراضي الدهيشة، أراضي الأكراد، أراضي سد الفوار، أراضي البلاطة، أراضي المقشور (أو المقشاير)، أراضي الزوينه، وأراضي السلاقه.[١١]

الجبال والتلال

جبال قرية صبَّارين هي جزء من جبال الكر مل، وبلغ ارتفاعها حوالي ٣٠٠ متر عن سطح البحر. ومن هذه الجبال، جبل المنارة وجبل اللبيدة غرب القرية وهما جبلان ملبدان بأشجار حرجية كالبلوط و السريس. كما كان في صبَّارين مجموعة من التلال والتي كان أهالي القرية يدعونها بـ "الظهر"، كظهرة سيلط، وظهرة البلاط، وظهرة الزعتر (أو "دبة الزعتر").[١٢]

العيون و الآبار والوديان

يوجد في قرية صبَّارين الكثير من عيون المياه ومنها: عين الحجة وتقع في شمال القرية، مجموعة من عيون وادي الزيوانية، عين أبو حلاوة، عين الفوار، عين البلاطة، عين أبو شقير وتقع في شرق القرية، عين العلق وتقع في جنوبها الشرقي، عين الخضيرة وتقع في جنوب القرية،[١٣] عين الصلاة وكانت مخصصة لوضوء رجال القرية لان مياهها دافئة، وعين الترازة وهي غزيرة فكانت الكثير من نساء القرية يملأن جرارهن منها، وقام أهالي القرية بتعديلها في العام ١٩٣٨ بالاسمنت وأخرجت منها أنبوباً بارزاً كي يستسقين منه. بالإضافة إلى عين أبو احمد، وعين وادي التين، وعين الصفصافة وهي مخصصة لساقية المواشي كالأغنام والأبقار والجمال وغيرها.

وكان في صبَّارين بئر يقع إلى الغرب من القرية، وكان يستمد مياهه من الينابيع الواقعة في جوار القرية.[١٤] ويروي الحاج مصطفى عواد:

> كان وادي المشراع خصب كثير وكان يزرع فيه البطيخ والخضروات منها ما هو مروي ومنها ما هو بعلي للاكتفاء الذاتي، إذ قل من يبيع من الفواكه والخضار. وقبل التهجير بقليل، بدأ الناس زراعة الأشجار نقلاً عن اليهود، واشترى بعض الفلاحين المضخات التي تعمل بالبنزين والتي كانت تضخ المياه من أسفل الوادي إلى الأرض ليسقون مزروعاتهم من اجل زيادة إنتاجهم ويبدأون البيع والتصدير. ولكن حدثت الحرب وتهجر الناس ولم يذوقوا ثمارها.[١٥]

أما الوديان في قرية صبَّارين، فنذكر منها وادي الدفلة (أو كما يسمونه وادي المشراع)، وادي أبو العروج الذي يسيل متعرجاً ومنها جاء اسمه (كما يسميه الفلاحون بوادي التين لكثرة شجر التين على ضفتيه، ويمتد من الشمال إلى الجنوب. وادي "السلاقة" وتجري مياهه من الجهة الشمالية ويمتد من صبَّارين إلى مستعمرة "بات شلومو". وادي الفوار، وتجري مياهه من الجهة الشمالية الشرقية ومياهه دائمة على مدار العام ويعتبر رافدا لوادي الدفلة (أو، نهر الدفلة) الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط . وادي عين البلاطة، وتجري مياهه من الجهة الشرقية ومياهه دائمة على مدار العام . ووادي الخضرة، وتجري مياهه من الجهة الجنوبية ومياهه دائمة مدار العام ، وهما من روافد نهر الزرقاء.[16]

الفصل الثاني: تاريخ قرية صبَّارين

يرجح أن يكون أصل تسمية قرية صبَّارين العربية مشتقا من الكلمة العربية "الصُبّار"، أو "الصُبَّير" بالضم وتشديد الباء وفتحها، وهو نبات له ألواح بيضوية الشكل شائكة وثمرة حلو كثير والبذر يحيط به قشر غليظ يغشاه شوك دقيق. وبرز اسم صبَّارين إبان الحروب الفرنجية، وكان الصليبيون يدعونها "صُبّاريم" أو "صَباريم" في أواخر القرن التاسع عشر.[17]

لم تتحدث المصادر التاريخية عن قرية صبَّارين في العهد الكنعاني، ولكنها تفيد بانه أقيمت بالقرب من موقع صبَّارين العديد من المواقع التي عمّرها الكنعانيون ومنها، "دور –الطنطورة" و"برج استراتون – قيسارية"، وهي موانئ كنعانية فينيقية.[18]

في العهد الروماني، كانت فلسطين تابعه للإمبراطورية الرومانية التي أصابها الترهل. ويذكر انه في العام 304–305م، كانت قرية صبَّارين خامس مركز للديانة السامرية في فلسطين حيث بنا فيها الكاهن "بوياربه" معبداً. وكان هيرودوس بناء من الدرجة الأولى، فبنى في فلسطين أول ميناء بحري كبير مكان ستراتون وبنى مدينة على النمط الهيليني ولا تزال أثارها ماثلة إلى الآن، ودعوها قيصرية – أو قيسارية، وهي تبعد عن صبَّارين سبعة كيلو مترات، بل أن المياه التي تزودها تأتي من ينابيع صبَّارين في قناة مبلطة ومسقوفة تحت الأرض.[19]

وقد ذكر المؤرخ الفلسطيني وليد الخالدي انه كان إلى الغرب من القرية مآخذ مياه عظيم البنيان هو رأس القناة الرومانية العليا التي كانت تحمل المياه إلى قيصرية وكان يستمد مياهه من الينابيع الواقعة في جوار صبَّارين.[20]

كانت فلسطين كبقية بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي ترزح تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية، ومع هذا حافظت فلسطين على سكانها العرب من كنعانيين وعموريين وآراميين وغيرهم من القبائل العربية حتى جاء الفتح الإسلامي. و كتب الخليفة عمر بن الخطاب إلى يزيد بن أبي سفيان بهذا الفتح بأن يدفئ ظهور الرجال بالرجال، وان يسرح معاوية إلى قيسارية وان يتولى بنفسه فتح قيسارية الحصن الرئيسي الأعظم في المحور الجنوبي على ساحل الشام. وتوجه معاوية بجيشه إلى قيسارية وأقام مخيمه في قرية صبَّارين لكثرة مياهها ومراعيها وحطبها. وكانت معسكراً لمؤخر قواته وتقدم الضاربة إلى قيسارية وكانت مدينة حصينة.[21]

أما في الحقبة الصليبية، فكان الصليبيون يدعونها "صُبّاريم" أو "صباريم". احتلها الصليبيون بتاريخ 28 أيار 1099، وأراحوا فيها واحتفلوا بعيد الفصح. وأثناء احتفالهم، هوت حمامة بعد أن انقض عليها صقر، فوجدوا معها رسالة من أمير عكا يستثير فيها

المسلمون ضد الغزاة. وقد عسكر الصليبيون على ينابيع تنبع عند نهر التمساح.[22] لم ينقطع المسلمون عن مناوأة الصليبين منذ احتلالهم صبَّارين، وقام الأمير المجاهد نور الدين زنكي الذي كان يرسل حملات مستوطنة داخل المملكة اللاتينية وتقيم بداخلها عدة أشهر لتقاتل الصليبين، وأقامت في ارض صبَّارين فرقة المجاهدين التركمان في العام 1.166. [23]

أما في العهد المملوكي، فلم تكد عكا تصير في قبضة السلطان حتى أمر بتدميرها وفقاً لخطة موضوعة حتى لا تكون مرة أخرى رأس حربة الحملات الصليبية القادمة، كما أمر بتدمير جميع القلاع الساحلية ووضع على رؤوس الجبال مرابطين ليلاً ونهاراً، ومهمتهم مراقبة الساحل، فإن رأوا مراكب قادمة دخنوا في النهار وأوقدوا النار في الليل لتنقل الإشارات بسرعة البرق إلى المناظر التي تليها وهذه بدورها تنقلها لمن يليها ويصل الأمر دمشق بسرعة. فإذا استطاعت أن تتعامل مع العدو بما لديها من قوات محلية تصرفت وإلا أزجلت إلى القاهرة لاتخاذ الإجراءات اللازمة. ووضع في صبَّارين أربعه مراكز مراقبة واحده على جبل المنارة ومسؤوله المرابط أبو عدل، والثاني برأس المطلة ومسؤولة المرابط الشيخ صباح وعلى جبل اللبيدة اثنان واحد في شماله والآخر في جوفه أي قبلته العجمي وتاتا. وبعد أن توفوا اتخذ الناس قبورهم مزارات وقدسوها وجعلوا لها مواسم؛ فموسم أبو عدل والشيخ صباح، كانت تقدم فيه النذور ويسرج الناس عليه ليلة الجمعة بأسرجة توقد بزيت الزيتون. ووجد في صبَّارين مناطق تدل أسماؤها على فترة حكم المماليك كطريق السلطانة نسبة إلى السلطان قلاوون والسناجق، وهي ارض تقع شرق شمال القرية كان قد ركز عليها البنود والأعلام والسناجق.[24]

وفي العهد العثماني، كانت قرية صبَّارين تابعه إلى سنجق نابلوس، وشارك أهالي صبَّارين مع الجيش العثماني في الكثير من الحروب وكان أولها حملة نابليون. فلما وصلت الأخبار بوصول الحملة الفرنسية إلى مصر، نشط الجزار بمضاعفة الجهود التي كان قد باشر بها في تحصين عكا منذ توليه أمرها، وزودها بمختلف المواقع والقنابل والبنادق وغيرها من أدوات الحرب ثم منع رسو السفن القادمة من مصر في موانئه خوفاً أن تكون فرنسية. واخذ الفرنسيون يعتبرون بعد احتلالهم ليافا واحتلوا قرية صبَّارين في 17 آذار 1799، ثم احتلوا حيفا وأقام نابليون مقر قيادته على جبل الكرمل. ولقد اشترك أبناء فلسطين بما فيهم أهالي صبَّارين مع الجيش العثماني في مواجهة هجمات نابليون عن البلاد.[25] وكذلك شارك أهالي صبَّارين مع الجيش العثماني في معركة الكون الكبير والتي حدثت بين "موسى بك طوقان" من جبل نابلس وبين "الطرشان" في جبل الدروز، والتي حصلت في عام 1813. وقد وجد قبور شهداء تلك الحرب وراء قبر او مقام النبي اليسع ومن بينهم قبر محمود الصبَّاريني.[26]

كذلك، اشترك أهالي قرية صبَّارين مع الجيش العثماني في الحرب الثانية عام 1902، حيث غزا دروز حوران جيرانهم أهل قريتي معربة وغصم وسكانهما مسلمون ومسيحيون، على اثر خصام وقع بين نواطير القرية ونواطير بصرى على الكرم، فقتلوا 59 رجلاً وامرأة.

وأرسلت الدولة حملة مؤلفة من ثلاثين ألف جندي بقيادة سامي باشا الفروقي فضربهم ضربة قوية، فقتل فيها زهاء ألف رجل منهم نحو مئة وخمسين من الجند وأحرقت بعض القرى، ولا سيما الكفر أهم موقع حربي في الجبل وحكم على بعض زعمائهم بالصلب فصلبوا بدمشق، وكان في هذه الحملة بعض الصبَّارينيين، وعاد احدهم هو محمد عثمان.[27]

كذلك شارك بعض أهالي صبَّارين مع الدولة العثمانية في حربها على بلغار والصرب والجبل الأسود واليونان. وكان من صبَّارين، محمد العثمان، وقد روى الحاج عمر الصفوري عن تجربته:

لما رجع محمد العثمان من الحرب مع الأتراك، قالنا: انه أتراك ركبوهم الجنود في البابور يعني القطار، وأطعموهم وصلوا عليهم صلاة الجنازة وهم أحياء.[٢٨]

وحول قرية صبارين في الحرب العالمية الأولى، يروي الحاج احمد الأسعد:

كان آخر قرعه الثمانطاش (١٨) المجندين من صبَّارين، عبد الرحمن الحاج أبو خليل، جاء جاندارم (الدركي)، على حصان ليأخذ عبد الرحمن من البيت إلى ميدان معركة مجدو. احتل البريطانيون القرية بتاريخ ١٩١٨/٩/١م، في الصباح الباكر بعد معركة مجدو، وانتصار البريطانيون على الأتراك ودخل البريطانيين القرية من مدخلها الجنوبي وكانوا يركبون حصاناً ويجرون حصاناً، وأثناء سيرهم في صبَّارين فاجأوا شخصا تركياً ينقل المؤن من عين الميته إلى الجيش التركي، ولم يكن يعلم أن المعركة انتهت. فاجأوه عند مقام الشيخ صباح، فصرخوا عليه "كمان" فرد رافعاً يديه ويقول: أمان أمان، فأسروه وقتلوه في مكانه وتركوا العربة و الحصان في مكانهما، فاخذ أهل القرية الحصان ودفنوا الشهيد إلى جانب مرابط الشيخ صباح، واخذ الأطفال العربية وكانوا يدفعونها إلى رأس المطلة ويضعوا حجر تحت عجلاتها ويركبون بها.[٢٩]

الأماكن الأثرية في القرية

تحتوي صبَّارين على أسس البئر الذي كان يقع إلى الغرب من القرية، "مأخذ مياه" عظيم البنيان وهو رأس القناة الرومانية العليا التي كانت تحمل المياه إلى قيصارية(أو قيسارية) وكان يستمد مياهه من الينابيع الواقعة جوار صبَّارين.[٣٠]

ومن المواقع الأثرية مقام الشيخ "عدل" في شمالها، والشيخ "زكريا" في جنوبها الغربي، وخربة "أبو شقير" في شرقها، وخربة "الخضر" شمال مقام الشيخ "عدل"، وفي الجنوب الشرقي من صبَّارين "قصيبة" وهي موقع اثري يحتوي على آثار أنقاض.[٣١] وقد روى الحاج مصطفى عواد:

كان في صبَّارين مناطق أثرية وكانوا يجوا على البلد أجانب حاملين معهم خرائط وكان في البلد ارض اسمها الجرم، كانت فيها أثار أعمدة وأنقاض وقطع فخار.[٣٢]

الفصل الثالث: النشاط الاقتصادي

الزراعة

تعد قرية صبَّارين من القرى الزراعية الهامة في قضاء حيفا، فمواردها الزراعية كانت تشكل أكثر من ٩٥ ٪ من دخل أهالي القرية الذين كانوا يعتمدون اعتماداً كلياً في حياتهم على الزراعة. وتشتهر تربة المنطقة بالخصوبة الكبيرة لكونها تربة كلسية بيضاء في الغالب، فيما كانت التربة في بعض مناطق صبارين بنية أو سوداء اللون غنية بالمواد العضوية، وهي مميزات إذا اجتمعت مع المياه تحقق أفضل أسباب نجاح الزراعة.

وتعد زراعة الحبوب الزراعة الرئيسية في القرية، فبين أعوام ١٩١٤ و ١٩٤٥، بلغت مساحة الأراضي المزروعة بالحبوب كالقمح والشعير والحمص والعدس والفول والحلبة والسمسم، والترمس والكرسنه، وغيرها ما مجموعه ١٢٧٧٣ دونماً. واحتل القمح حصة الأسد من هذه الزراعة، تلاه الشعير، فالذرة البيضاء التي تحل محل القمح في السنوات القاحلة كغذاء للناس الذين يصنعون منه "كراديش".[٣٣] وتقول الحاجة نوير في هذا الصدد:

> كنا في آخر السنة، يخلص من عندنا القمح ونلتحق، فكنا نخبز كراديش ونوكله وهو سخن زاكي، ولما كان يبرد كان يبيس وكنا نوكله مع شوربة العدس.[٣٤]

وبلغت مساحة الأراضي المروية كالبساتين نحو ٤٥ دونم، حيث كانت تزرع بالخضروات (كالبندورة، والخيار، واللوبياء، والفاصولياء، والبطاطا، والكوسا وغيرها)، والأشجار المثمرة كالليمون والبرتقال. وكان من بين مالكي هذه البساتين أبو شاكر العنيد، ومحمد السلمان. وكذلك زرعت بعض الأراضي بأشجار اللوز والتين وكروم العنب وأشجار الزيتون وبلغت مساحتها نحو ٥٠ دونماً، وكان مالكها ياسين الأحمد.[٣٥]

أما عن توزيع الأراضي في صبَّارين فكانت بالوراثة، ويمكن القول أن اغلب عائلات القرية كانت تملك الأراضي ولكن بتفاوت. فنجد أن قسماً من الأراضي اقتطع على زمن الدولة العثمانية إلى عائلة الصمادعة، وهم من أقدم سكان القرية وأكثرها أرضاً ونذكر منهم رشاد عبد الوهاب، ثم عائلة أبو لبدة وعائلة الحاج محمود وعائلة الصفوري وعائلة أبو عواد.

أما صغار الملاكين في القرية فكانوا يقومون بزراعة الأراضي التابعة لهم، كما عملوا بزراعة أراضي كبار الملاكين على نظام المزرعة بنسب مختلفة، مقابل الحصول على ربع الإنتاج أو ثلثه. وفي حالة تواجد فائض في المحاصيل الزراعية، فكانت تصدر إلى حيفا والى المستعمرات الصهيونية المجاورة.

وقد استخدم سكان صبارين الأدوات الزراعية كالمنجل، والفأس، والطورية، والمحراث على الخيول والبغال، ودخل التراكتور البلد لأول مرة في العام ١٩٤٧، وكان يملكه أهالي حيفا.[٣٦] وكان للمرأة في قرية صبَّارين دور بارز في الزراعة وتعشيب الأرض وري المزروعات وتنظيفها وجمع الحطب وقطف المحاصيل.

في عهد الانتداب، لعبت السياسة الاقتصادية المتبعة آنذاك دوراً كبيراً في تهجير الكثير من الناس وتركهم أراضيهم من حيث فرض الضرائب الباهظة على الأراضي الزراعية وعلى الفلاحين. فكثرت الخسائر واضطر الكثير من السكان إلى الاستدانة ورهن الأرض إلى شركة "بيكا"،[٣٧] وبعدها تستولي عليها بحجه عدم الدفع. كما جرت محاولات من قبل اليهود الصهاينة لشراء الأراضي في القرية، إلا أنها باءت بالفشل لكن بعضها تسرب لهم بالقوة واستخدام السلاح.[٣٨]

وتعد الثروة الحيوانية في صبَّارين الركيزة الثانية لاقتصاد القرية، حيث أفاد أهالي القرية أنهم كانوا يمتلكون ثروة حيوانيه متنوعة وعديدة من الأغنام والأبقار والماعز مما كان يوفر إنتاجاً كبير من الحليبٍ ومشتقاته من اللبن والزبدة، وكذلك كان يستفاد من لحوم صغارها والتي كانت تباع أيضاً في أسواق حيفا.

العمل والتجارة

أدت سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية إلى تخريب العمل في الزراعة لدى أعداد واسعة من الفلسطينيين، ومنهم سكان صبَّارين الذين اخذوا بسبب فرض الضرائب الباهظة بالانتقال للعمل في ميناء حيفا، وكان منهم عيسى أبو لبدة. كما عمل بعض أهالي صبارين في شرطة الانتداب البريطاني ومعسكرات الجيش ومنهم سبع أبو سويلم، وتوفيق عبد العال أبو لبدة، وعبد الجبار الشيخ صالح. وكان الكثير من عمال صبارين في حيفا يذهبون للعمل في حيفا ويعودون الى قريتهم يوميا.[٣٩]

وانتشرت التجارة العامة في قرية صبَّارين مقارنه ببعض القرى المجاورة، خصوصا مع تطور طرق ووسائل المواصلات ما بين صبَّارين وحيفا. وذكر أهالي القرية ممن جرت مقابلتهم، بأن عدد الحوانيت في القرية كان أكثر من عشرة وكان أصحاب هذه الحوانيت هم: موسى الحميدي، حسين الحميدي، صلاح الغني، إبراهيم أبو عز، يونس ابو لبدة، الحاج طه، أبو سمن، أبو احمد، صالح الحميدي، عساف، منعم الحميدي، كامل المصطفى، وحسن محمد العبهري (وكان دكانه مخصصاً لبيع الكيروسين "الكاز").

كما كان في قرية صبارين ثلاثة مطاحن يسمونها "بابور طحين"، وكان أصحابها هم أمين الحاج محمود، واحمد المحمود، وأبو القسم.[٤٠]

وأفاد أهالي القرية بوجود عدد كبير من الحرفيين في القرية ومنهم:

الحلاقين: ويسمونهم الأهالي أيضا "المزينين"، وكان أشهرهم حسن أبو العز، وصالح أبو زهره وعبد الشيخ.

الخياطين: وكان منهم عزت الشركسي، ومن النساء منوه الشريف، وخديجة أبو لبدة، وأم العبد الخياطة.

النجارين: وكان منهم أبو حنا وأبو العبد.

الحدادين: وكان منهم يوسف الاوي وأبو الياس النصراني وصبري الجاد.

السمكرية: وكان منهم أبو العبد البابوري.

مبيض الطناجر: وكان اسمه نخله.

ووجد في قرية صبَّارين لحامين (جزارين) وكان منهم البعد الحاج ابو شريف واحمد الجاد ومحمد أبو شهاب وياسين الدعمة. كما وجد في القرية مخبز يعمل بالحطب وكان صاحبه إبراهيم يونس ابو لبدة، بالإضافة إلى وجود بعض الباعة المتجولين في القرية وكانوا يدعونهم "البرجوانية".[٤١]

وسائل النقل والمواصلات

أفاد عدد من أهالي صبَّارين أنهم استخدموا الدواب لترحالهم وتجولهم وسفرهم وتجارتهم، وكانت أسفارهم إلى خارج قريتهم والذهاب إلى أعمالهم ومزارعهم تتم بواسطة الدواب. وقد روى لنا الحاج محمود:

> كانت الطرق اللي توصلنا إلى القرى المجاورة كانت كلها طرق ترابية، أما طرق القبنيات [المستعمرات] فكانت كل الطرق عندهم معبدة.[٤٢]

ثم تطورت البنية التحتية، فتم إصلاح الطرق وأذلت العوائق والحجارة الكبيرة، وأخذ عدد أكبر من السكان باستخدام العربات التي تجرها الخيول والبغال والحمير لتسويق منتوجاتهم.

وتتصل قرية صبَّارين بطريق حيفا – جنين وهي طريق رئيسية معبدة، تتيح لحافلات الركاب السير عليها وعرف من أصحابها في قرية صبارين عبد الفرحة وصبحي الحاج.

الفصل الرابع: الحمائل والسكان

الحمائل والعائلات

حمولة الصمادعة: تتباين الفترات الزمنية التي قدمت بها العائلات التي تنسب إلى صبَّارين وكانت أقدم عائلة قدمت وسكنت في صبارين هي حمولة الصمادعة، حيث تعتبر هذه الحمولة "سدة البلد وخميرتها". وتعتبر حمولة الصمادعة تجمع لعائلات عدة ومنها أبو حسن وأبو يحيى والحميدي. ويعود أصل عائلة أبو حسن الى طيبة بني صعب، وتربطها علاقات قرابة بحوارة (نابلس) والطيبة. أما عائلة الحميدي فكانوا أكثر أهالي القرية ملكية للأراضي، وتعود أصول هذه العائلة إلى قرية عتيل، وكان زعيمها موسى الحميدي.

حمولة أبو لبدة: تعود أصولهم الى محافظة المينا في صعيد مصر. وأول ما نزلت في فلسطين كانت في قرية يبني، ثم رحل بعضها الى قلقيلية وصبَّارين والسنديانة. وتتشكل حمولة أبو لبدة في صبارين من كل من عائلات أبو نصار، أبو سويلم، البسيوني، النبرواي. وتولى زعامة هذه الحمولة في صبارين عبد القادر محمود أبو لبده.[٤٣]

حمولة الدعمة: تتكون هذه العائلة من عائلتين هما عائلة عباهرة، وعائلة شاوية. وتعود أصول هذه الحمولة الى قرية اليامون، في نهاية القرن الثالث عشر. وتزعم هذه الحمولة في نهاية الحقبة العثمانية عائلة العباهره وزعيمها عباس العبهري، وفي وقت لاحق، ياسين الدعمة.

عائلة الملاح: تعود اصولها الى منطقة نهر العوجا (الذي سمته إسرائيل نهر اليركون) من جهات يافا ومنهم آل خواجا وهي كلمة تركية تعنى "الفقيه" او "مدرس الكتاب"، وكان منهم المرحوم إبراهيم الخواجا، وهو قائد لأحد فصائل ثورة عام ١٩٣٦.

عائلة ابو عواد: تعود أصول هذه العائلة من القباب في قضاء الخليل، وكان بعض سكان جنوب فلسطين يلجئون الى صبَّارين بحثاً عن الكلأ والماء، وتولى زعامة هذه العائلة الحاج أحمد أبو عود.[٤٤]

عائلة الحاج يوسف: جاؤوا من يعبد في قضاء جنين وأصلهم من شرق الأردن، حيث قبيلة العمارنة في السلط. وتعتبر هذه العائلة من أشهر العائلات المالكة في قرية صبَّارين، وأكثر ما يميزها، أنها تولت زعامة القرية على مدار سنين طويلة، حيث كان مختار القرية مسعود عبد القادر الحاج يوسف، الذي حافظ على "المخترة" حتى بعد التهجير في مخيم نور شمس.

عائلة الشيخ موسى: جاؤوا من سمخ في شمال فلسطين. وكان الشيخ موسى شيخ الطريقة

الصوفية يلبس الزي الأخضر وفي احد المرات وبينما كان يؤذن لصلاة الفجر على سطح المسجد زلت قدمه وسقط ووصل الأرض سالماً ولم يخدش، فقالوا في القرية بأنه ولي من أولياء الله الصالحين.

عائلة الخريسات: مؤسس هذه العائلة يدعى مصلح أبو خريس، قدم من الحجاز هو وأخوه، ونزلا في وادي خريس بعمان والذي سمي في أعقاب ذلك بالخريسات، ثم نزح مصلح إلى السلط وخرج أخوه إلى اربد حيث يعرف أعقابه بالخريسات ومن ثم نزلوا في قرية صبَّارين.

القرعاوي: جاؤوا من أم الفحم وعانين، ومنهم عائلة أبو سمن من كبار الملاكين في القرية ومن زعماء دار أبو سمن حسين أبو السمن.

عائلة طوير: من الوافدين على قرية صبَّارين من قرية صفورية، قضاء الناصرة وسكن قسم منهم بدالية الروحا وجاء معهم سليمان الصفوري إلى صبَّارين.[٤٥]

عائلة الحطاب: جدهم عبد الله الحطاب من خريجي الأزهر الشريف، وكان من العلماء الفرسان جاء من نجدات بني صعب من كفر صور لنجدة الجزار. واجتمعت النجدات بما يقارب ثلاثين ألف مقاتل لمواجهة نابليون، وبعد قتال عنيف فرّ الجميع وكان من بين الفارين العالم الفارس الذي انحاز إلى فئة جاءت من صبَّارين وعاد معهم وهكذا أصبح الحطاب فرع في صبَّارين، وكان زعيم هذه العائلة الحاج اسعد الحطاب ومن وجهاء القرية.

مخاتير القرية ووجهاؤها

تسلمت عدة شخصيات من عائلة الحاج يوسف مهمة "المخترة" في القرية، وكان منصب المختار مهما ومركزه عالياً ومهامه كثيرة، فهو قناة الاتصال بين الدوائر الرسمية وأبناء قريته وأحياناً يقوم بالإشراف والتوقيع على المعاملات الرسمية والشعبية في القرية، وكان بيته مجمعاً لوجهاء وعموم رجالات قريته، فلا بد له من ديوان لاستقبال ضيوفه فيه. كان أول من تسلم المخترة في صبَّارين السيد عبد القادر الحاج في العام ١٩٣٦، وتسلم مهمة المخترة في القرية بعده ابنه مسعود عبد القادر الحاج. وبعد التهجير في العام ١٩٤٨، استمر الحاج مسعود عبد القادر الحاج (أبو جودت) مختارا للقرية في مخيم نور شمس.

لم تكن المكانة الاجتماعية في القرية مقتصرة على زعماء البلدة ومخاتيرها، فقد كان لرجال العلم والدين كلمة مسموعة في القرية أيضا، حيث كان يرجع الناس إليهم في الكثير من الأمور الدينية والدنيوية وبرز منهم العالم الأزهري الشيخ إبراهيم الخليلي، وكانت مهمته

في البلد الوعظ والإرشاد ثم الإفتاء. أما الإمامة في مسجد القرية فتولاها الشيخ موسى، وكان ينوب عنه أحياناً الشيخ إدريس.[٤٦]

الدواوين في القرية

يعد الديوان من أهم الأبنية التي تتفاخر بها الحمولة، وكان يتم بناؤه بتعاون جميع أبناء الحمولة كل حسب استطاعته، فكان قسم يقدم منهم المال وقسم الجهد، وأحياناً كليهما، أما مكان بنائه فكان يعتمد على سكن الحمولة، فإن كانت تسكن في حوش، كان الديوان يبنى في بابه، ويكون له باب على الشارع العام. وإن كانت تسكن في حارة واسعة، فكان الديوان يبنى في وسطها، وعادة يكون قريباً من بيت زعيم القرية. وفي حال كان زعيم الحمولة ثرياً، فكان يبني الديوان على نفقته وبجوار بيته وأحياناً يكون جزءاً لا يتجزأ منه.

وللديوان وظائف عديدة منها اجتماع العائلة وقت السهر والسمر وهو مأوى للضيف، إذا قدم ضيف إلى الحمولة أو أي فرد منها كان مرده إلى الديوان. ومن وظائفه أيضاً انه مجلس القضاء العشائري ويستعمل من أجل إقامة بيت العزاء للحمولة إذا توفي احد أفرادها. وأول ديوان بُني في القرية هو ديوان آل الحاج وبعدها بنت عائلة أبو لبده ديواناً، وبعد ذلك توالت عائلات القرية ببناء الدواوين.[٤٧]

الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية

مساكن القرية

وصفت أبنية القرية بأنها مبنية من الطين، وقدر عدد البيوت في العام ١٩٤٥، ٢٥٦ منزلاً. وقد خلت القرية من الخدمات والمرافق العامة باستثناء المدرسة، وقد بلغت مساحة مسطح البناء ١٧٩ دونماً، مكونة من عدة حارا ومنها: حارة النزلة، حارة البير، حارة وادي التين، وكذلك وسط البلد.[٤٨] وكان في القرية قهوة أبو ساري العراني وكان يوجد فيها راديو، وكان أهالي القرية يتجمعون فيها لسماع الأخبار.

التعليم والثقافة

كان التعليم في عهد العثمانيين ضعيفاً، ولم يكن في قرية صبَّارين مدرسة، حيث كان التعليم يتم على يد رجال العلم والمشايخ وهو ما كان يعرف بالكتاتيب. وقد ألقيت هذه المهمة على عاتق الشيخ في القرية أو إمام المسجد، وكان يتعلم الطالب في المسجد القراءة والكتابة وحفظ القران وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، وبعض دروس الحساب كالجمع و الطرح وجدول الضرب. وكان شيخ القرية يتقاضى أجره من أهل القرية مقابل تعليمه لأبنائهم مما تيسر من منتوجاتهم الزراعية النباتية ومنها الحيوانية. وبعد ازدياد عدد الطلاب اخذ المشايخ يدرسون الطلاب في بيوتهم ومنهم الشيخ أمين، والشيخ مصطفى الملاح، والشيخ محمد الأحمد.

وكان المُدرس يدعى "الخطيب" أو "الشيخ"، وقد كان الطلاب يجلسون على الأرض فيجلس الكبار في الصف الأول والصغار خلفهم، وبيد الشيخ عصا طويلة تصل حتى أخر طالب. ولم ينقطع الشيوخ عن تدريس أبناء القرية حتى بعد إنشاء المدرسة، فكان الطالب يدرس عند الشيوخ ومن ثم ينتقل إلى المدرسة.[٤٩] وقد حدثني عمر صفوري:

> كنا نتعلم عند الشيوخ، ونكتب على ألواح من التنك والقصدير والحبر عبارة عن أصابع من الفحم.[٥٠]

في حقبة الانتداب البريطاني، تأسست في صبَّارين المدرسة في العام 1931–1930. وتكونت المدرسة من أربعة غرف ودرّست حتى الصف الرابع.[51] وفي العام 1948، قام أهالي القرية بتوسيع المدرسة حتى الصف السابع. وكان أمام المدرسة ساحة كبيرة يصطف فيها الطلاب بطوابير قبل دخولهم إلى الصفوف، كما تواجدت في المدرسة براميل للمياه من أجل تزويد الطلبة والمدرسين بالماء من دون عناء، وأيضا لري حديقة المدرسة التي وصفها السكان بأنها أجمل حدائق المدارس.

بلغ عدد الطلبة في المدرسة حوالي 200 طالب في عام 1948. نذكر منهم: أحمد الأسعد، صبحي أبو قصيده، عمر عصفوري، بديع توفيق، شفيق عبد القادر، عبد الله أبو لبدة، متين الدين عثمان، عيسى أبو لبدة، إبراهيم حسين عبد العال، مصطفى محمود عواد، صالح أبو شهاب، وفتحي محمد سليم.

كان الأستاذ عبد الله من طولكرم، أول مدير للمدرسة، ثم تلاه الأستاذ نجم من صفد. وكان التعليم في المدرسة بموجب المناهج المقررة من قبل حكومة الانتداب البريطاني، وهي اللغة العربية والتربية الإسلامية والرياضيات، والعلوم، الجغرافيا، التاريخ تم أضيفت اللغة الانجليزية كمواد أساسية.

وقد عرفنا من بين المدرسين خلال فترة 1931–1948 التالية أسمائهم: الأستاذ نجم الصفدي، الأستاذ سهيل من أم الزينات، الأستاذ ماجد وكان يدرس اللغة العربية، الأستاذ محمد الأحمد، والأستاذ عبد الله. وكان للمدرس في ذلك الوقت مكانته المرموقة، واحترامه من قبل الطلبة والأهالي. وعندما كان الأستاذ يمر من شوارع القرية، كان الطلبة يهابون التواجد في هذه الشارع، فيفرون منه أو يتوارون عن أنظاره لأن قصاص المدرس في ذلك الوقت كان شديدا على الطالب "الكسول والمتسكع في الشوارع".

وكان دوام المدرسة على فترتين، صباحية حتى وقت الظهر يأخذ بعدها الطلبة فسحه من أجل الغداء، ثم يعودون بعد الظهر حتى العصر. وبعد أن ينهي الطالب الصف السابع، كان أهل القرية يقولون عنه انه ختم القران والعلم. وقليل منهم يذهبون لاستكمال الصفوف العليا في الطنطورة ومن ثم إلى حيفا. ومن بين الطلاب الذين أكملوا دراستهم كان محمد علي سبع أبو لبدة.[52]

وحرمت المرأة من العلم في صبَّارين، فلم يكن هناك مدارس للإناث في القرية. بيد أن بعض العائلات كانت ترسل بناتها للمشايخ بهدف تدريسهن. وتروي الحاجة نظمية:

> كنا ندرس عند الشيخ أمين ستة صفوف خمسة للأولاد وصف واحد للبنات. وكان الشيخ أمين يدرس الأولاد الكتابة والحساب والقران، أما البنات القران الكريم وأحاديث نبوية بس. ولما قاله حياة أبوه الله يرحمه يا شيخ علم البنات القراءة والكتابة والحساب، قاله: "ما يلزمهن بكره بيصيرن يراسلن الشباب"... الله لا يسامحه الشيخ أمين لأنه هو إلى حرمنا من التعليم.[٥٣]

وسائل الثقافة والإعلام

دخل جهاز الراديو إلى القرية في العام 1936، وكان في بيت المختار ومن ثم اشترى هذا الجهاز أبو ساري العرني صاحب القهوة. وكان أغلب رجال القرية يذهبون إليه لسماع

الأخبار والبرامج. ومن النوادر والطرائف حول جهاز الراديو، روى عمر عصفور:

أن الأطفال كانوا يعتقدون أن رجلا جالسا في داخل الراديو وهو الذي يتكلم. وقد كان المسافر إلى المدينة من الرجال يحضر معه صحيفة، فكانت صحيفة الكفاح، وصحيفة فلسطين. وكان يجلس بديع أبو لبدة ويقرا الجريدة، وكان يجلس عدد من كبار السن ممن لا يعرفون القراءة حول قارئ الجريدة يستمعون إليه لمتابعة الأوضاع وخصوصا أخبار الثوار.[٥٤]

الصحة

لم تحظ قرية صبَّارين بالحد الأدنى من متطلبات العناية الصحية. ولم يكن في القرية أي طبيب أو ممرض أو ممرضة ولا عيادة صحية. وأفاد اغلب الذين أجريت معهم المقابلات من أهالي القرية أن أهالي القرية اعتمدوا على الطب الشعبي في معالجة الوعكات الصحية، أما الأمراض السارية والمُعدية فكانوا يستشفون منها عند أطباء حيفا وفي مراكزها الصحية وكذلك في المستعمرات الصهيونية.

ووجد في قرية صبَّارين نساء عملن كقابلات (دايات) لمعالجة أمراض النساء والتوليد، وعُرف منهن حسب الروايات الحاجة حسنة العبد، والحاجة عايشه ضرغام، ومريم أبو عواد. وكانت هذه القابلات تحمم الطفل وتقطع السُرّة بمهارة، وتدهن جسم المولود بملح وزيت حتى يشتد عوده.

وكان أغلب سكان القرية يتعاطون الطب الشعبي مثل الكي وقطع الطنطاف (بنات الأذنين) ورفع اللوزتين وغيرها. ويروي أهل القرية أنه كان لبعض الأعشاب البرية الطبية حظ وافر في علاج الوعكات الصحية ومن هذه الأعشاب الزعتر، والميرمية، والبابونج والجعدة والشيح وغيرها.

وكذلك كان العلاج بالحجامة والكي بالنار من الطرق العلاجية المستعملة بعد الإصابات، وكانت تستعمل طرق بدائية في معالجة الأمراض مثل بخ الزيت الفاتر في أذن الطفل وكذلك تجبير الكسور وكان ممن يمارس هذه المهنة قي القرية سعيد عبد الله سليمان أبو لبدة. أما الأمراض النفسية، فكان يتم التعامل معها ببعض القراءات والأدعية وعمل "الحجبة" عند الفتاحين.[55] وكان أهالي قرية صبَّارين يتقربون إلى الأولياء، ومنهم الشيخ صباح وأبو عدل والعجمي من اجل استشفاء المرض. وتقول الحاجة حليمة:

إن المرأة إلي كانت تتأخر عن الحبل كانت تذهب إلى احد الأولياء وتطلب من الله يعطيها ولد ببركة هالولي، ولا تكتفي بالصلاة بل تظن أن الأشياء الموجودة في المقام قادرة على شفائها. ويعتقد أن الشفاء يحدث في البركة التي منحها الله بشفاعة الولي للناس وعلى المؤمن الراغب أن يلمس القبر أو الأستار ثم يضيع يديه على وجهه وجسمه لتوزيع البركة.[٥٦]

الأعياد والاحتفالات الدينية

صبَّارين سائر مدن فلسطين تحتفل بالمناسبات الدينية و الأعياد و الموالد ومن هذه المناسبات شهر رمضان. وقبل أسبوع من حلول شهر رمضان المبارك، كان أهالي صبَّارين يبدأون بتوفير حاجاتهم من المواد الغذائية التموينية ولوازم رمضان مثل التمر و الجبن وغيرها. وفي صبَّارين كان "المسّحر" يقوم بالتجوال بين البيوت يدق على الطبل أو صفيحة (تنكه) ليوقظ النائمين عند السحور، وكان من بين مسحّري صبَّارين اسمه اسعد الحاج احمد، وإدريس عبد الحاج قطميش وإدريس أيوب.

وفي الليالي التي يكون فيها القمر بدراً، كان أولاد القرية يرافقون المسحرين أثناء تجواله وحال انتهاء الأهالي من طعام السحور، ويتوجه الرجال إلى الجامع مسجد القرية لقراءة القران حتى آذان الفجر فيصلون صلاة الفجر ويتوجهون إلى إعمالهم. ونادراً ما كان يجرؤ احد الأهالي على الإفطار علناً في هذا الشهر الفضيل، وبعد صلاة العصر كان كبار السن يتجمعون في الجامع لقراءة القران بينما يعتلي الصغار سطوح المنازل ينتظرون أو يرقبون آذان المغرب ومغيب الشمس وما إن يقول المؤذن "الله اكبر" حتى ينطلقوا إلى بيوتهم ليعلنوا عن موعد الإفطار. وبعد الفطور يتجمع أهل القرية ثانية في الساحة يسهرون، كما تكثر الولائم في رمضان وتوزع الصدقات وزكاة الأموال وزكاة الفطر وزيارة الأقارب.[٥٧]

ويذهب أهالي صبَّارين إلى أسواق حيفا مصطحبين أطفالهم ليشتروا لهم الملابس الجديدة استعداداً لعيد الفطر، ويقوم الأطفال بعمل لعبة من الخشب و القماش ويدفنونها في التراب و يغنون: (مات مات رمضان لا والله سلامتو).[٥٨] وكانت العادة في قرية صبَّارين الاحتفاظ بآخر رغيف من الخبز في آخر شهر رمضان ودقه بمسمار في صدر البيت للبركة. أي، بركة شهر رمضان على العام الذي يليه.[٥٩] ويسمى عيد الفطر عادة عيد الحلوى لكثرة ما توزع فيه الحلوى.[٦٠]

كما يحتفل أهالي صبارين بخميس البيض، ويكون موعده في اقرب خميس من منتصف شهر نيسان. وتقوم الأمهات في هذا اليوم بصبغ البيض بالألوان المختلفة بورق قشر البيض الناشف، ووردة الحنون أو العشب الأخضر ويوزعنه على الأطفال. وكان أولاد القرية في هذا اليوم يطوفون على بيوت الجيران والأقارب، ويجمعون بيض الخميس المسلوق، و"يتطاقشون" (أي، يتكاسرون) ومن تكسر بيضته بيضة الآخر يربح البيضة المكسورة شريطة أن تجري "المطاقشة" برؤوس البيض (أطرافها المدببة) رأساً لرأس.

ومن المناسبات الدينية التي كان يحتفل بها أهالي القرية كانت ذكرى المولد النبوي. فكان القائمون على ذلك من المشايخ وأصحاب الطرق الصوفية ومنهم الشيخ موسى ينظمون

مسيرة تطوف في القرية يدقون خلالها "العدّة"، وهي أدوات نحاسية ويرفعون الأعلام الخضراء التي كتب عليها " لا اله إلا الله محمد رسول الله " ثم يتلون المدائح النبوية ويوزعون الحلوى بهذه المناسبة.

ومن أهم الاحتفالات والمناسبات الدينية كان ختم القرآن، فعندما يختم الصبّي القرآن في الكتاب كان الأهالي يزفونه بطواف على فرس مزينة، بينما النساء يغنين ويزغردن، ويأكلون حلوى ويباركون.[١١]

الأزياء الشعبية

ساد اللباس العربي الشعبي في القرية سواء للرجال أو النساء. فالرجال كان لباسهم القمباز، الروزه، الدمايه ثم الحطة و العقال. والحطة إما أن تكون ذات لون ابيض أو أسود، وكان القليل من شباب القرية يلبس البدلة الرسمية المتمثلة بالبنطال والقميص والجاكيت. أما زي النساء: فكان الثوب العادي، الثوب النعاني، الثوب المجدلاوي، الحطة الحريرية، منديل، السروال. وما تتزين به من مصاغ، فكان الحلق، الخواتم الأساور، الكردان.

الفصل السادس: الحروب، السياسة والنكبة

الانتداب البريطاني

بعد انتشار القوات البريطانية في فلسطين في العام ١٩١٨، دخلت قواتها قرية صبَّارين في أواخر الصيف. ويروي سكان القرية أن أول عمل قام به الجيش البريطاني هو جمع الأسلحة من الأهالي، فأمروا منادياً ينادي بالناس أن يضعوا أسلحتهم في مسجد وبعد ذلك تركوا الناس سنة أو سنتين دون التدخل في شؤونهم الحياتية. فاخذ الناس يعودون إلى حياتهم الطبيعية، وزرعوا أرضهم، وتحسن الوضع الاقتصادي في القرية مقارنه بالسنين السابقة. ولكن هذه الفترة لم تدم طويلاً، حيث فوجئ السكان بموظفي حكومة الانتداب يداهمون مزارعهم ومتاجرهم في مواسم الحصاد، وبدءوا بعملية تخمين المحاصيل وفرض الضرائب. قاد هذا الأمر إلى ازدياد الشعور بالضيق من الانتداب البريطاني، وازدادت ظواهر رفض الاحتلال ومقاومته في قرية صبارين.

خلال فترة الانتداب، دخلت قرية صبارين مرحلة خطرة مع فرض الضرائب الباهظة على السكان ولجوء الكثير منهم إلى الاقتراض لسد الديون. ترافق ذلك، مع ازدياد الهجرة الصهيونية الى فلسطين، وقيام البريطانيين بمساعدتهم في تأسيس مستعمرات لهم بالقرب من أراضي قرية صبَّارين ، و أولها مستعمرة "مينا" في العام ١٩٢٢ على أراضي قرية المراح، وكذلك مستعمرة "مئير شفيا" المقامة على أراضي قرية "شفيا" الفلسطينية إلى الشمال الغربي من صبارين. وفي بداية الثلاثينيات، بدأت السلطات البريطانية بتنفيذ وعد بلفور بشكل علني، فأخذت تقوم بحملة شرسة ضد الفلاح الفلسطيني وكان الهدف من هذه المضايقات على الفلاح هو اقتلاعه من أرضه وتسريبها لليهود وتوطينهم فيها.[١٢]

الشيخ عز الدين القسّام في صبَّارين

كان الشيخ عز الدين القسام إمام جامع الاستقلال في حيفا يحظى بشعبية وشهرة كبيرتين في كل أرجاء فلسطين، فكان يجتمع المصلون يوم الجمعة والأعياد من كافة أنحاء فلسطين للصلاة خلفه وسماع خطبه. كان الشيخ عز الدين القسام يسافر الى قرى قضاء حيفا كل يوم خميس، حيث يصلي بهم ويخطب فيهم، باذراً بذور الثورة والمقاومة. وكان الناس يتسابقون للتشرف برؤيته وسماع خطبه، وقد حضر الشيخ عز الدين إلى صبَّارين وتسابق أهالي القرية لاستضافته. وبعد استشهاد عز الدين القسام توالت الإضرابات والاحتجاجات حتى وصلت للثورة الفلسطينية الكبرى في العام ١٩٣٦.

الثورة الفلسطينية الكبرى

بدأت الثورة الفلسطينية الكبرى في العام ١٩٣٦، على شكل احتجاجات ومظاهرات جماهيرية، وتوجت بإضراب عام لستة أشهر. كان هذا الإضراب عبارة عن عملية تسخين لثورة مسلحة، وصبَّارين كباقي القرى كانت مشاركتها في الثورة مشاركة فاعلة لقربها من مستعمرة "زمارين" و "زوخرون يعقوب"، ومستعمرة "بنيامينا"، و "مئيرشفيا" التي تقع بجوار ارضي القرية، مما جعلها سهلة المنال لتنفيذ فعاليات وخطط الثورة. وأصبحت صبَّارين مركزا مهماً لرجال الثورة من القرى المجاورة ولم يتخلف أهالي صبَّارين من تشكيل فصيل محلي أسوة بباقي القرى المجاورة، ضم تحت إمرة يوسف أبو درة أحد قادة الفصائل الرئيسية في حيفا.[١٣]

وذكر بعض أهالي القرية أن المرأة شاركت الرجل في الثورة رغم أن هذه المشاركة كانت هامشية. فنجد أن بعض النسوة كانت تنقل الطعام والشراب إلى الثوار في مكانهم في النهار، كما نقل بعضهن الأسلحة والعتاد في طيات حزم الحطب من منطقة إلى أخرى أو إخفائه عندما كان يحصل حصار من قبل البريطانيين على القرية. وكانت النساء في ثورة ١٩٣٦ يقمن بالغناء للثوار من اجل دعمهم وتقوية عزائمهم وكذلك الافتخار بهم (أنظر الى الملحق).[١٤]

ويقول الحاج مصطفى الحاج:

> صبَّارين كانت تقع في الدائرة الرابعة من تقسيمات الثورة، وكان المسؤول عن الدائرة أبو درة. كان أول نشاط قام به أهالي صبَّارين حين جاء يوسف أبو درة إلى القرية في الليل لطلب المتطوعين من صبارين لإتلاف الطرق المعبدة بغية قطع مواصلات البريطانيين، هرع جميع شباب القرية بالفؤوس واتلفوا طريق السلطانة الموصلة إلى الناصرة واتلفوا قسماً من الطريق العام الرابط بين حيفا ويافا، وكتب مناشير وألصقها على الطريق قال فيها: "بأنه هو يوسف أبو درة الذي فعل كل هذا وهو المسؤول عن كل هذه الأعمال، أما الشعب و الملة فلم يفعلوا شيئاً وان أردتم أن تعاقبوا احد فعاقبوني إن استطعتم إلى ذلك سبيلا.

أما بالنسبة لرد فعل البريطانيين على تلك الحادثة، يكمل الحاج مصطفى:

> قاموا الانجليز باقتحام البلد وفرضوا الطوق [منع التجول]، وجمعوا كل أهالي البلد الرجال قسماً، والنساء والأطفال قسماً آخر بحثاً عن الثوار. ثم دخلوا على البيوت وقاموا بكب السمن والحليب والطحين والرز فوق بعضه ولا يتركونه بل يخلطونه حتى لا يستفاد منه غضباً لأنهم لم يعثروا على المجاهدين.

خلال هذه الفترة كانت العلاقة بين أهالي القرية والبريطانيين عدائية جدا، خصوصا وأن

الثوار كانوا يلجئون الى القرى المجاورة لصبارين، ومن ثم يهاجمون المستعمرات الصهيونية ومراكز شرطة الانتداب البريطاني.

يقول احد سكان القرية:

هاجمنا اليهود في مستعمرة زمارين وبدأنا بإطلاق النار عليهم، لكنهم لم يردوا علينا بإطلاق النار بالمثل. وكنا نطلق النار عشوائياً وأكثره في الهواء، وأخيرا اهتدى احدنا إلى إطلاق النار باتجاه مزرعة بقر في براكيه من الصفيح، و كنا نسمع خواره واستهلكنا جميع ما معنا من ذخيرة.[١٥]

ويروي الحاج صالح ابو شهاب:

استمر قيام الثوار بالهجوم على مستعمرات زمارين وبات شلومو ومئير شفيا والخضيرة. وكان الهجوم يتم في الليل، نطلق النار عليهم ونعود إلى ممارسة عملنا في الزراعة في النهار. وإذا شفنا يهودي بحرث على التراكتور كنا نطخ عليه.

ويكمل الحاج حديثه:

عندما رأى اليهود أن شوكة الثورة أخذت تزداد، بدأوا يقومون بأعمال إجرامية، ومنها إنو كان رجل من القرية ملقب "جلمات" وكان يعمل راعيا لبقر القرية. وجاؤه اليهود على خيولهم وبنادقهم، فقام بقذفهم بمقلاعه وفروا منه. وأخيرا وضعوا له لغما مكشوفا بوسط الزرع، فانفجر اللغم وكان قويا جدا بحيث قذفه قطعا متناثرة بالهواء وكان جلمات الشهيد الأول في القرية.[١٦]

ويروي الحاج صبحي أبو قصيدوه:

استمر اليهود بأعمال إرهابيه من اجل إخافة الثوار وتخويف السكان منهم. وذات يوم ذهب جبر اليوسف وكان فقيرا يعيش يوم بيومه، ذهب يبحث عن عمل ولقى جبر اليوسف على جابية زمارين باليهود وقاموا باستدراجه وأوهموه بان عندهم له عمل وادخلوه إلى المستعمرة وقاموا بتعذيبه لرفع معنويات سكانهم. وبعد ذلك قادوه إلى بيارة أبو النحل وهناك أمروه أن يحفر قبره بيده وضعوه بالقبر وتركوه ينزف حتى مات. وبعدها بأيام بدا يتحلل لأنهم لم يهيلوا عليه التراب وأخذت الريحة تؤذي بيارة أبو النحل، فدل أحد الرعاة على مكانه وذهب أهالي القرية وعادوا به ودفن في القرية، وكان هو الشهيد الثاني في القرية.[١٧]

استمر أهالي القرية والثوار بمقاومة اليهود والبريطانيين، ويروي الحاج عيسى أبو لبدة:

احتل اليهود قرية بريكه، وجاء أبو درة على البلد وجمع حوالي ثلاثين فصيل من القرى، واتجمعوا في البلد وهاجمنا اليهود في قرية بريكه، واستمرت المعركة حتى الفجر وقامت القوات البريطانية بالفزعة لليهود ومحاربة العرب بالطائرات تقصف حتى احتمى الثوار بالأحراش. وفي الصباح، رحلت اليهود عن أهالي قرية بريكه ورحلوا إلى قنير. و استشهد في هذه المعركة الكثير من الثوار ومنهم الجربوع و الزير وبعد ذلك عاد الثوار إلى مكانهم.[١٨]

ويقول الحاج محمود ابو شهاب:

لم يكن هناك مقارنه بالتسليح بين اليهود والعرب، فكان اليهود يملكون عتاد وعدة حديثة لا يقارن مع عتاد العرب وسلاحهم البسيط والقديم. حيث أن العرب كان وضعهم الاقتصادي صعباً للغاية، فكان يبيع الرجل قسماً من أرضه من أجل شراء بندقية، والذي لم يقدر على شرائها لوحده كان يشارك اثنين أو ثلاثة حتى يستطيع شراء بندقية. بعد هذه الفترة ازدادت المناوشات بين سكان القرية واليهود وكثرت استفزازات اليهود للعرب، فأخذ اليهود يقومون بتدريباتهم العسكرية بالقرب من القرية، وفي إحدى الليالي وصلت فرقة يهودية إلى حدود القرية وبدأت تدريباتها هناك، وكانت هذه العملية ما هي إلا عملية استفزازية لكن حراس القرية من الثوار منعوهم من تنفيذ مهمتهم، فالتجأ اليهود إلى التدريب في مستعمرة زمارين وزوخرون يعقوب.[١٩]

شددت بريطانيا من حملتها القمعية ضد الثوار، وكانت تلجأ في الكثير من الأحيان الى فرض العقوبات الجماعية بعد هذه الحوادث، فتداهم القرية وتفرض نظام حظر التجوال وتجمع أهالي القرية وتطلب منهم أن يبقوا بيوتهم مفتوحة، وتطلب من النساء والأطفال الذهاب إلى المسجد والشباب والشيوخ إلى ساحة القرية وسط البلد، ويبدؤون باستجواب أغلبهم وأحياناً يمررونهم من أمام مصفحة عسكرية يكون بداخلها رجل ينظر من خلال نافذة صغيرة على المارين من أمامه، فإذا أشار إلى احدهم اعتقل دون إبداء الأسباب ويلجأون أحياناً أخرى إلى تمرير الناس من أمام رجل جالس وعلى رأسه غطاء مثقوب من الأمام يستطيع من خلاله مشاهده المار من أمامه فإذا هز رأسه باتجاه أحد اعتقل وكان يطلق أهالي القرية عليه اسم " رأس الخيش " .

وفي أواخر الثورة عام 1939، أعطت بريطانيا العهود إلى الملوك العرب بحل قضية فلسطين من أجل التفرغ للحرب ضد الألمان، وأصدرت بريطانيا العفو عن الثوار، وعاد الثوار إلى قراهم ومنهم ثوار قرية صبَّارين.

نكبة ١٩٤٨

يقول أحد سكان القرية:

زاد التوتر بين العرب واليهود في منتصف الأربعينيات، عندما قامت مجموعة من شباب القرية بمهاجمة مستعمرة زوخرون يعقوب، وقتلوا يهودياً وعادوا إلى القرية سالمين. وشكلت لجنة من رجال القرية من اجل تنظيم الحراسة على القرية، وهذه اللجنة مكونة من وجهاء وشيوخ القرية ويشرف على عملها المجاهد إبراهيم مصطفى الملاح. وعزم أهالي القرية على حراسة قريتهم خوفاً من هجمات العصابات الصهيونية، واتفق الأهالي على حفر خندق حول القرية ووضع استحكامات على أطرافها.[٢٠]

ويقول الحاج فتحي سليم:

لم يكن في القرية السلاح الكافي لمحاربة اليهود وخاصة عند صدور قرار التقسيم حتى نبعد شر عصابات المستعمرات عن القرية. كنت اخرج للحراسة في الليل بعصا، بدون سلاح وكان مسؤول الحراسة عنا الشيخ نموره الذي كان يمر بالليل ليراقب عملنا. وكان مع نموره سلاح، أما نحن الخفراء فليس معنا إلا العصي والحجارة والفؤوس.[٧١]

ويروي الحاج عبد الله أبو لبدة:

لما بدأت أحداث ١٩٤٧، قام المجاهد إبراهيم مصطفى الملاح بالاتصال مع زملائه منذ أيام الثورة، ثم ذهب إلى دمشق لجلب السلاح إلى الثوار وحملوا السلاح على الجمال وأحضروه الى صبَّارين. وفي الليل قاموا بتحميل ثلاثة جمال وذهبوا لإيصال السلاح إلى عين غزال برفقة ثلاثة مسلحين لكشف الطريق وثلاثة آخرين لحراسة القافلة، واستطاعوا إيصاله ومن ثم عادوا إلى القرية سالمين.[٧٢]

وهنا نذكر، بأن اليهود الصهاينة قد بدأوا بحرب نفسية. ويروي الحاج عمر:

سمعت ذلك اليوم الكل يصيح يهود.. يهود.. والناس تهرب في كل اتجاه ومن معه سلاح يطلق طلقات في الهواء ليشجع نفسه ويزيد فزع الناس الخائفين. ولكنه تبين بعد ذلك أن جاسوس زرع الفزع والهلع في القرية وانسل عائداً إلى من أرسلوه بسلام، وربما جمع وحصى قطع السلاح الموجودة في القرية في ذلك اليوم إذ كان الكل يطلق الرصاص من كل ناحية.[٧٣]

ويروي الحاج محمود:

صمدت القرية حتى آخر شهر نيسان، وأرسلوا وفداً إلى فوزي القاوقجي في مقر قيادته يطلبوا منه تزويد قوات الثورة ببعض الكوادر من جيش الإنقاذ، فأجابهم: بأنه ليس عنده جنود زيادة تدبروا أموركم بأنفسكم. فرجع الوفد يوم ١٩٤٨/٥/١١، وإذن للناس بالرحيل.[٧٤]

ويروي الحاج عبد الله:

بعد ما كانت الناس تسمع عن المجازر وحالات الاغتصاب، رحل العديد من عائلات القرية خوفاً على حياتهم وعرضهم وشرفهم، وخصوصاً بعد أحداث مجزرة دير ياسين. لكن الناس رحلت على أساس أنها بدها تعود للقرية بعد الحرب، وكثير من العائلات أخرجت النساء والأطفال من القرية وبقي الرجال فيها. أما القسم الثاني، فلم يرحل وقالوا لدينا السلاح بدنا نقاوم وترأس هذه القسم جميل عبد الملك، وكان المدافعين عن القرية لديهم الكثير من البنادق لكن لم يكن لديهم الكثير من العتاد، واغلب المسلحين ليس بحوزتهم أكثر من عشر طلقات، وكثير من العائلات في القرية أخذت تشجع نفسها وتقول في ١٥ أيار سوف تغطي طائرات الملك عبد الله السماء، ومن الأهالي من قال: بنخرج ونرجع بعد الحرب.[٧٥]

يوم الاحتلال

يروي الحاج عيسى:

دخل اليهود البلد بـ ١٣/٥/١٩٤٨، ما بين الساعة السابعة والنصف والثامنة والنصف صباحاً. أنا كنت في الدار سمعت أصوات إطلاق وانفجارات في القرية وخرجت ونظرت، وإذا اليهود داخلين البلد بأعداد كبيرة وكانوا عند دار رشيد العبد المالك. هربت أنا والناس يتراكضون في كل اتجاه، ولم يكن في البلد الكثير من الناس. وقام اليهود بقتل صادق البعد وقتلوا الزيتاوي وآمنه أبو قصيدوه وإبراهيم أبو قصيدوه، وكانوا يتصيدون الناس كصيد الأرانب.[٧٦]

ويضيف الحاج صبحي:

دخلوا اليهود البلد فقتلوا بنت حسين الصالح الذي لم يتجاوز عمرها سنتين وهرب والديها وتركا الجثة في البلد.[٧٧]

ويروي الحاج عمر: " دخل اليهود البلد من جميع الجهات، وحاصروها وتركوا الجهة الشرقية بدون حراسة من اجل خروج من بقي حياً من البلد ".[78] ويؤكد الحاج فتحي: " جمعوا اليهود من بقي من الرجال والمسنين بالقرية الذين رفضوا الرحيل، سمعت النار وألقيت نفسي على الأرض فكانت عشرات الرشاشات تحصد الناس، ومات الحاج حسين على الفور، والزيتاوي كانت مصارينه طالعة على الأرض ".[79]

ويروي الحاج يوسف:

قام اليهود بجمع الجثث ووضعوها في دار سعيد عبد العال النوري، وسكبوا عليهم النار واحرقوهم. أنا مريت بعد ذلك بالمكان فوجدت السقف محروقاً.[٨٠]

وتروي الحاجة ندية:

يوم الحرب النساء اللي كانت في القرية جميعهن كبيرات في السن وكانت معهن عروس حديثه الزواج، وبدان يخبئنها بوسطن ويلطخن ووجها بالطين والتراب وبدلنا حطتها. لكن الجنود كانوا يدلون بعضهم بعض على البنت وأخذوها من بين النساء، فقد كانت الوحيدة الشابة. أما من تبقى من النساء، فكن كبيرات في السن، وقاموا باغتصابها وقتلها، ولما علم زوجها جن جنونه وقام بسكب الكاز على نفسه وانتحر حرقاً، لأنه لم يستطع حمايتها.[٨١]

ويروي الحاج عبد الله:

جمعوا اليهود من بقي على قيد الحياة في آخر النهار، وقالوا يللا انهضوا، قلنا: إلى أين؟ قالوا: اركبوا ولا تسالوا. ركبوا الشاحنة أردنا أن نحمل معنا الحاج مصطفى الحسن، وقلنا لهم: انه رجل كبير، قالوا: اتركوه جالس مكانه، وقاموا بقتله. وطلع أربع جنود واستلم كل منهم ركناً

من أركان الشاحنة، وقالوا لنا: ضعوا رؤوسكم تحت ومن يرفع رأسه سيقتل. ولما نزلنا من الشاحنة تفرق الناس.. منهم من ذهب إلى أم الفحم ومنهم إلى عارة، يتراكضون من هول ما شافوا من جرائم في القرية. فإذا جنود من جيش الإنقاذ يصرخون بعد أن شاهدوا موكب الذل والرحيل، فبكى قائدهم تأثراً لأنهم لم يستطيعوا حمايتنا. وسألنا: من أين انتم؟ قلنا من صبَّارين. قلت: أعطوني سيجاره، فأعطوني كثير من السجائر وبدءوا يبكون جميعهم، لأنهم لم يستطيعوا إنجادنا وكانوا سوريين و لبنانيين.[٨٢]

يروي الحاج عيسى:
جاء أحد الجنود العراقيين، وأعلن للناس أن غداً هو موعد الهجوم الكبير فمن معه سلاح فليحضر للاشتراك بالمعركة وذهب الشيخ نموره وجميع أهالي القرية ومعهم شتى أنواع السلاح والعصي والنساء تحمل جرار الماء على رؤوسها لتسقي المجاهدين ورجال يحملون القرب على حميرهم لسقي المجاهدين، لكنها كانت تمثيلية كما اخبرنا قائد القوات العراقية... انها تمثيلية من العرب، وانسحب الجيش العراقي.[٨٣]

شهداء يوم الاحتلال

هنا نورد أسماء شهداء يوم احتلال صبَّارين حسب ما ذكره الرواة:

١. صادق عبد الرحمن الحاج
٢. الزيتاوي
٣. آمنه أبو قصيدوه
٤. عيسى عبد الله ابو طبيخ
٥. يوسف داود ابو صيام
٦. مصطفى أبو قصيدوه
٧. حسن أبو شوشه
٨. مصطفى الحسن أبو عواد
٩. عبد الوهاب أبو حسن
١٠. صفية الدراب
١١. ارحيم
١٢. الحاج حسين
١٣. ابراهيم ابو قصيدوه
١٤. فؤاد الفارس
١٥. طفلة حسين الصالح.

العودة إلى القرية

يروي الحاج عمر:
أول من عاد إلى القرية كان أبو كايد المجدوبي، عاد يقود المئات على الحمير والبغال ليحضروا الطحين والسمنة وكل شيء ليؤكل أطفالهم الجوعى. بعد أيام، أحس اليهود بالحركة بداخل القرية فكانوا يطلقون النار عشوائياً ووضعوا على دار يوسف المصطفى في رأس المطلة مروحة تعمل بالريح بصنعة متقنة تصدر أصواتا كرمي رشاش برن وفزاعة صافير. لكن الناس راقبوا المكان وكانوا يسمعون الصوت ولكن لا يرون لمعان الرماية، وأخيراً تجاسر

احدهم وكان مسن تدرب بقوات حرس بريطانيا وصعد السطح وجاء بها غنيمة ليلعب بها أطفاله. وعادوا من القرية واخذ اليهود يرسلون دوريات نهارية واتخذوا لهم معسكر غرب القرية.[٨٤]

رحلة العذاب

يروي الحاج عيسى أبو لبدة:

قال لي جدي: وصلنا إلى مخيم جنزورٍ الذي بناه الصليب الأحمر لاستقبال الضيوف المنكوبين – لقد قالها جدي والأسى يملأ قلبه وعيناه، ولقد أخذت كل عائلة خيمة وباتت تلك الليلة المتعبة فيها. وحتى الصباح، كان الناس المجاورين لنا قد احضروا القليل من الطعام ولكن مصابنا أعظم من جوعنا وتعبنا وعطشنا، لقد تركنا بيوتنا وطعامنا للأعداء. وكانت تلك الليلة قارصة البرودة ولم يتحمل الناس بردها وكان الشهر الذي نحن به هو شهر ١٢ من عام ١٩٥٠، حيث اجتاحت فلسطين عاصفة ثلجية قوية وأمطار غزيرة ورياح شديدة، وكانت السبب في تمزيق خيامنا التي أصبحت بيوتنا، فقد قامت جمعية الصليب الأحمر بتسليمنا لوكالة الغوث الدولية التي بعثت مندوبين عنها حتى يروا وضع أهالي المخيم الصحي. وتقرر نقل اللاجئين إلى مخيم نور شمس في مدينة طولكرم، وبعد أربع سنوات من المرار والتعب والألم، قامت الأردن مع الوكالة اللتان تدبرتا الوضع بنقلنا من مخيم إلى آخر. وهناك قال احد اللاجئين وصلنا، فقال جدي: لا تقولوا وصلنا بل قولوا ابتعدنا، بل طردنا، بل انتهينا، فطأطأ الرجال رؤوسهم. لكن الحياة بدها تستمر وكل واحد اخذ يتأقلم مع وضعه الجديد، وتوزع الناس في خيام تنتشر على تلتين صخريتين، أما المساكن الأخرى فقد استخدمتها وكالة الغوث للمكاتب والعيادة وكذلك نشأت المدرسة وجعلت هناك مدير للمخيم وموظفي الوكالة ومخفر. وكان الناس يعانون في المخيم من الجوع والتعب والمرض، وكانت الوكالة هي المسؤولة عن المخيم، فقد اعتمد اللاجئين في بداية الهجرة على المعونات الدولية والتبرعات العينية التي توزعها المؤسسات الإنسانية.

إضافة إلى البرد القارص اللاذع شتاءً، امتازت هذه السنوات بحرارتها العالية صيفاً، لكن هذا الشعب الذي تحمل ثلجه عام 1952 في العراء يستطيع تحمل برد 1956. وكان أطفال القرية وسكان المخيم بأسره يرتدون البناطيل الممزقة والقمصان المرقعة، أما المسكن الذي كنا نعيش فيه، فهي بيوت أشبه بالأكواخ وكانت جميعها متشابه. كانت هذه الوحدات السكنية بجوانب إسمنتية، وكان السقف من عود القصب أو من الصفيح "الزينكو"، وكانوا يضعوا على أسقفه التراب. وعندما يأتي الصيف، كان الجسم يحترق من حرارته المرتفعة، لأن الشمس تدخل من خلال الثقوب وعندما يحل الشتاء كان الناس يغرقون في المياه. وبدأ الطلاب يحاولون الذهاب إلى المدارس كي يتعلموا ويغيروا الوضع الذي يعيشونه. المخيم كان ذا تربة خصبة قابل للزراعة وبدا الأهالي يعتمدون على المحصول الزراعي. أما المياه فكانت النساء تنقلها بوعاء صغير عدة مرات من الحنفيات المتوفرة. وكانت النساء تصطف على

الدور كي تحصل الواحدة على بعض لترات من الماء والمرأة القوية هي التي تفوز. وقد استمر وضع الأهالي على هذا الحال لا يوجد كهرباء وقليل من العناية الصحية والدواء. ورغم ذلك امتاز الأهالي بالصبر والتحمل وسعة الصدر والهدوء والقدرة على العطاء ومحبة الوطن.[85]

وكان لأهالي قرية صبارين دور كبير في المشاركة الفعالة في نضال الشعب الفلسطيني بعد العام ١٩٤٨ من أجل العودة الى دياره وتحقيق حقه في تقرير مصيره. كما أنشا أهالي صبَّارين جمعية خيرية تأسست عام ٢٠٠٤، تقوم بتقديم الخدمات للمنتسب وتقديم المساعدات المادية وعينية للأسر المحتاجة، كذلك الخدمات الثقافية والاجتماعية وعقد الدورات التدريبية والمشاركة بالمناسبات الدينية الاجتماعية والوطنية.

صبَّارين اليوم

كست الأشواك البرية الموقع الواسع المغطى بأنقاض المنزل الحجرية، وتتخلل الأشواك أشجار الصنوبر والتين والزيتون وشجر الصبار، ويستخدم الصهاينة بعض الأراضي المجاورة للرعي وزراعة أشجار الفاكهة.

وأقيمت مستعمرة "راموت مناشي" على أراضي القرية في العام ١٩٤٨، كما أقيم على أراضي القرية، في العام ١٩٤٩ ، كيبوتس " رجابيم" وقد اسسه مهاجرون يهود قدموا من الأرجنتين والولايات المتحدة. علماً بأن بيوت القرية بقيت قائمة بمعظمها حتى عام 1968، حين عمدت السلطات إلى هدم البيوت التي أضحت محجّاً لأصحابها بعد احتلال الضفة الغربية، حيث جاؤوا إليها من المخيمات التي أقاموا فيها بعد النكبة في نور شمس (طولكرم) ومخيم جنين. ولم يبق من هذه البيوت إلا بيت خليل القندس الذي كان قد بناه في عام ١٩٤٧ ولم يذق طعم السكن فيه سوى شهور قليلة ليلجأ إلى قرية برطعة (البعيدة عن قنير سبعة كم باتجاه الشرق) ويموت فيها عام ١٩٩٨[86]. وفي العام ١٩٥٠، أقيمت مستعمرة "عميقام" على أراضي القرية.[87]

أما فيما يتعلق بتواجد أهالي صبارين اليوم، فقسم منهم هاجر الى العراق مع القوات العراقية في العام ١٩٤٨، وقسم آخر يقيم في مخيم جنين ومخيم الفارعة ومخيم نور شمس ومخيم طولكرم، كما يقيم قسم آخر في مخيم إربد.

الخـاتمــة

تعد قرية صبَّارين من القرى الكبيرة في قضاء حيفا. ولو استمرت إلى يومنا هذا لأصبحت من المدن الفلسطينية الكبيرة والمرموقة. شارك أهلها بفعالية في ثورة ١٩٣٦– ١٩٣٩، ولكنها تعرضت للنهب والاغتصاب من قبل المستعمرات الصهيونية.

الإرهاب الصهيوني الذي مورس ضد سكان قرى حيفا اجبر العديد من سكان القرى مثل صبَّارين على أن تفقد قوتها بعد ترحيل الكثير من سكان القرى المجاورة لها مثل السنديانة و الخبيزة. كما إن التهديد المبطن والعلني من قبل سكان المستعمرات القريبة من القرية أرعب سكانها وأجبرهم على الرحيل. بالإضافة إلى أن الحوادث التي حصلت مع بعض سكان القرية بشكل مباشر قد أخافت الناس.

لقد كان وجود مخطط مدروس ومبرمج من قبل العصابات الصهيونية لترحيل منطقة قضاء حيفا "التنظيف الساحلي" كما ورد على لسان العديد من القادة الصهاينة، هو أحد الأسباب الجوهرية لترحيل سكان صبَّارين عنها وتحولهم إلى لاجئين داخل الوطن وخارجه.

الهوامش النهائية

[1] هيئة الموسوعة الفلسطينية. *الموسوعة الفلسطينية*، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، ص ٤ – ٥.
[2] الخالدي، وليد. *كي لا ننسى، القرى الفلسطينية التي دمرتها إسرائيل عام ١٩٤٨م*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص ١٠٣ – ١٠٤.
[3] مقابلة مع صبحي محمود أبو قصيدو، ٨٠ عاما، مخيم نور شمس، بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠٠٧.
[4] الدباغ، مصطفى مراد. *بلادنا فلسطين*. الجزء السابع، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٨.
[5] الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره. ص ١٠٣ – ١٠٤.
[6] الدباغ، مصطفى مراد. *بلادنا فلسطين*، الجزء الأول، القسم الجغرافي، ص ٣٥١.
[7] *المصدر السابق*، الجزء السابع، القسم الثاني، ص ٦٥١.
[8] *الموسوعة الفلسطينية*، المجلد الثالث، مصدر سبق ذكره.
[9] مقابلة مع عمر سليمان صفوري، ٨٣ عاما، مخيم طولكرم، بتاريخ ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٧.
[10] مقابلة مع حليمة أبو لبدة، ٧٥ عاما، مخيم طولكرم، بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[11] مقابلة مع صالح أبو شهاب، ٧٩ عاما، مخيم طولكرم، بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٧.
[12] مقابلة مع عيسى أبو لبدة، ٨٩ عاما، مخيم طولكرم، بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٧.
[13] *الموسوعة الفلسطينية*، المجلد الثالث، مصدر سبق ذكره.
[14] مقابلة مع الحاجة عايشه أبو لبدة، ٨٠ عاما، مخيم طولكرم، بتاريخ ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[15] مقابلة مع الحاج مصطفى محمود عواد، ٨٤ عاما، مخيم نور شمس، بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[16] مقابلة مع احمد الأسعد، ٨٥ عاما، مخيم طولكرم، بتاريخ ١٨/ ١١/ ٢٠٠٧.
[17] الدباغ، مصطفى مراد، الجزء السابع، القسم الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥٠.
[18] *المصدر السابق*، الجزء السابع، القسم الثاني، ص ٤٨٣.
[19] الكتاب المقدس العهد الجديد، إنجيل لوقا، الاصحاح الرابع و العشرون الأعداد (١٣، ١٨).
[20] الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣ – ١٠٤.
[21] البلاذري. *فتوح البلدان*، بيروت: دار النشر للجامعيين، عام ١٩٥٨، ص ١٩٢ – ١٩٣.
[22] الصوري، وليم. *الحروب الصليبية* ١٠٩٤ – ١١٨٤، جزءان، ترجمة حسن الحبشي، القاهرة، ١٩٩١.
[23] ابن القلانسي، أبو علي بن أسد التميمي. *ذيل تاريخ دمشق*، نشره امدروز، بيروت، ١٩٠٨.
[24] ابن العبري، غريغوريوس المطلي. *تاريخ مختصر الدول*. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٨.
[25] الدباغ، مصطفى الدباغ. مصدر سبق ذكره، الجزء السابع، القسم لثاني، ص ٢٥٠.
[26] كرد، محمد علي. *خطط الشام*، الجزء الثالث، دمشق، ١٩٢٨.
[27] *المصدر السابق*.
[28] مقابلة مع عمر سليمان صفوري، ٨٣ عاما، مخيم طولكرم، بتاريخ ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٧.
[29] المصدر السابق نفسه.
[30] مقابلة مع احمد الأسعد، ٨٥ عاما، مخيم طولكرم، ١٨/ ١١/ ٢٠٠٧.
[31] الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣ – ١٠٤.
[32] الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره.
[33] المقابلة الثانية مع الحاج مصطفى محمود عواد، ٨٤ عاما، مخيم نور شمس، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[34] الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، المجلد الثالث، ص ٤ – ٥.

[٣٥] مقابلة مع نوير محمد سعيد عبد العال، ٧٨ عاما، مخيم طولكرم، ١٥/ ١/ ٢٠٠٨.
[٣٦] مقابلة مع فتحي سليم محمد، ٧٧ عاما، مخيم نور شمس، ٢٠/ ١/ ٢٠٠٨.
[٣٧] مقابلة مع يوسف يونس، ٨٠ عاما، مخيم نور شمس، ٢٥/ ١/ ٢٠٠٨.
[٣٨] شركة بيكا هي شركة أقامها البارون روتشيلد في العام ١٩٢٤ وكانت تقوم بشراء الأراضي من الفلسطينيين والعرب ونقلها إلى الصندوق القومي اليهودي (الكيرن كاييمت). وعلى سجلات هذه الشركة تعتمد إسرائيل اليوم في إدعائها بملكية عشرات آلاف الدونمات في سوريا وفلسطين. وفي خمسينيات القرن الماضي تفككت شركة بيكا، ونقلت ملكيتها للأراضي في حوران وداخل الدولة اليهودية إلى الصندوق الدائم لإسرائيل، كيرن كييمت، وقد نقلت الشركة عام ١٩٨٢ بقية ما تمتلكه من أراض إلى الصندوق الإسرائيلي باستثناء بعض الأراضي التي بقيت بملكية عائلة روتشيلد.
[٣٨] مقابلة مع مصطفى محمود عواد، ٨٤ عاما، مخيم نور شمس، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٣٩] مقابلة مع عيسى ابو لبده، ٨٩ عاما، مخيم طولكرم، ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٤٠] مقابلة مع عبد الله توفيق، ٧٨ عاما، مخيم طولكرم، ٦/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٤١] مقابلة مع ميسر اسعد، ٦٩ عاما، مخيم نور شمس، ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٤٢] مقابلة مع محمود ابو شهاب، ٧٦ عاما، مخيم طولكرم، ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٧.
[٤٣] مقابلة مع عبد الله توفيق عبد العال أبو لبده، ٧٨ عاما، مخيم طولكرم، بتاريخ ٦/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٤٤] المقابلة الثانية مع الحاج مصطفى محمود عواد، ٨٤ عاما، مخيم نور شمس، بتاريخ ٢/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٤٥] مقابلة مع عيسى أبو لبده، ٨٩ عاما، مخيم طولكرم، بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٤٦] مقابلة مع عمر سليمان الصفوري، ٨٣ عاما، مخيم طولكرم، بتاريخ ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٧.
[٤٧] مقابلة مع صالح أبو شهاب، ٧٩ عاما، مخيم طولكرم، بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٧.
[٤٨] مقابلة مع عيسى أبو لبدة، مصدر سبق ذكره
[٤٩] مقابلة مع مصطفى عواد، ٨٤ عاما، مخيم نور شمس، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٥٠] مقابلة مع عمر الصفوري، ٨٣ عاما، مخيم طولكرم، ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٧.
[٥١] الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ص ٤٨٣.
[٥٢] مقابلة مع فتحي سليم، ٧٧ عاما، مخيم نور شمس، ٢٠/ ١/ ٢٠٠٨.
[٥٣] مقابلة مع نظمية ابو لبده، ٧٥ عاما، مخيم نور شمس، ١٥/ ١/ ٢٠٠٨.
[٥٤] مقابلة مع عمر الصفوري، مصدر سبق ذكره.
[٥٥] مقابلة مع ندية مصطفى سلامه، ٧٦ عاما، مخيم نور شمس، ١٨/ ١/ ٢٠٠٨.
[٥٦] مقابلة مع عايشة ابو لبده، ٨٠ عاما، مخيم طولكرم، ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٥٧] مقابلة مع نوير محمد، ٧٨ عاما، مخيم طولكرم، ١٦/ ١/ ٢٠٠٨.
[٥٨] مقابلة مع عايشة ابو لبده، مصدر سبق ذكره.
[٥٩] مقابلة مع ندية، مصدر سبق ذكره.
[٦٠] مقابلة مع صالح ابو شهاب، ٧٩ عاما، مخيم طولكرم، ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٦١] مقابلة مع صبحي ابو قصيدوه، ٨٠ عاما، مخيم نور شمس، ٩/ ١٠/ ٢٠٠٧.
[٦٢] مقابلة مع عيسى ابو لبده، ٨٩ عاما، مخيم طولكرم، ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٦٣] مقابلة مع مصطفى ابو عواد، ٨٤ عاما، مخيم نور شمس، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٦٤] مقابلة مع حليمة ابو خديجه، ٧٩ عاما، مخيم نور شمس، ١٣/ ١/ ٢٠٠٨.
[٦٥] مقابلة مع مصطفى عواد، مصدر سبق ذكره.
[٦٦] مقابلة مع صالح ابو شهاب، ٧٩ عاما، مخيم طولكرم، ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٧.
[٦٧] مقابلة مع صبحي ابو قصيدوه، ٨٠ عاما، مخيم نور شمس، ٩/ ١٠/ ٢٠٠٧.
[٦٨] مقابلة مع عيسى أبو لبدة، مصدر سبق ذكره.

[٦٩] مقابلة مع محمود ابو شهاب، ٧٦ عاما، مخيم طولكرم، ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٧ .
[٧٠] مقابلة مع احمد الاسعد، ٨٥ عاما، مخيم طولكرم، ١٨/ ١١/ ٢٠٠٧ .
[٧١] مقابلة مع فتحي سليم، ٧٧ عاما، مخيم نور شمس، ٢٠/ ١/ ٢٠٠٨ .
[٧٢] مقابلة مع عبد الله ابو لبدة، ٨٨ عاما، مخيم طولكرم، ٦/ ١٢/ ٢٠٠٧ .
[٧٣]مقابلة مع عمر الصفوري، مصدر سبق ذكره .
[٧٤] مقابلة مع محمود أبو شهاب، مصدر سبق ذكره .
[٧٥] مقابلة مع عبد الله توفيق عبد العال أبو لبدة، مصدر سبق ذكره .
[٧٦] مقابلة مع عيسى أبو لبدة، مصدر سبق ذكره .
[٧٧] مقابلة مع صبحي أبو قصيدوه، مصدر سبق ذكره .
[٧٨] مقابلة مع عمر الصفوري، مصدر سبق ذكره .
[٧٩] مقابلة مع فتحي سليم، مصدر سبق ذكره .
[٨٠] مقابلة مع يوسف يونس، مصدر سبق ذكره .
[٨١] مقابلة مع نديه مصطفى سلامه، ٧٦ عاما، مخيم نور شمس، ١٨/ ١/ ٢٠٠٨ .
[٨٢] مقابلة مع عبد الله توفيق عبد العال أبو لبدة، مصدر سبق ذكره .
[٨٣] مقابلة مع عيسى أبو لبدة، مصدر سبق ذكره .
[٨٤]مقابلة مع عمر الصفوري، مصدر سبق ذكره .
[٨٥] مقابلة مع عيسى أبو لبدة، مصدر سبق ذكره .
[٢٩] د. مصطفى كبها، "جولة إلى صبّارين بحثاً عن الهليون والهوية" . مقال مؤرشف على الرابط التالي:
www.arabs٤٨.com/display.x?cid=١&sid=٣٢&id=٣٤٩١٦
(آخر زيارة ١٣ شباط ٢٠٠٩)
[٨٦] الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

ملحق: الحنين إلى قرية صبَّارين

قصيدة للشاعر محمود عيسى

قالوا نصبر فقلت الصبر أضنانا
وحملك ربي فصبَّارين سلوانا

دار لنا زان بالروحاء منزلها
وجارها الغيث أشكالاً أو ألوانا

يا موطنا اسيل العينين موجده
فارقته يا فما غِراً وهيمانا

ومنهلاً طاب بالفّوار مورده
لو هان في تربته الإبريز ما هانا

ومرتعاً غنّى الربيع له
وراقصا لطير في آذار نشوانا

أودعت فيه الصِبا، كان الوداعُ ضحى
لا كان أيار شهراً بعد نيسانا

قالوا الندى قلتَ بالمشراع موطنه
وبالمنارة نلقاه ويلقانا

وادي الخضيرة هل في الروح بلبُله ؟
قد عشت فيكَ الهوى سهلاً وغُدرانا

به سَبحنا، لهونا، ثار ثائرنا
نشمته عبهراً غاراً وريحانا

متى يكون بصبَّارين موعدنا
والكور يجمعنا شيباً او شبّابا

اعراسنا سمّر و النار لاهبةٌ
وحادياننا الأنيس وابن عرسانا

اني لأهوى ثراها، ماءها كدراً
صبّارُها، حرشها ما عشتُ دنيانا

إني حنين لدار كنت اسكنها
بها وُلدت، زرعتُ الحبّ بستانا

أحنّ يا دارُ للكانون يدفئنا
وللخراريف ما كنّا وما كانا

أحنّ للتبن للطابون مخبزنا
أحنّ للطرش أبقاراً وثيرانا

يا ساريَ البرقِ ذكّر موطني ولها
متى لقاءٌ به يجتّر ذكرانا

يا ربّ إنا حُرِمنا مهدَ مولدِنا
فأجعل لنّا من ثراها لحَد مثوانا

ملحـق الصور:

صورة نادرة من داخل بيت جابر أمين الحاج، عام ١٩٤٠ . (المصدر : www . palestineremembered . com)

منظر عام لقرية صبارين في العام ١٩٤٠ . (المصدر : www . palestineremembered . com)

أهل القرية في زيارة لقريتهم المهجرة، تصوير المهندس محمد يونس.
(المصدر: www.palestineremembered.com)

أم الزينات
جرماشة
عوينة
الشومرية
الشقراق
ظهرة سليط
أبو الدرج
العمائر
عين الحجة
عين الفوار
المنايص
العباصة
أبو لبن
ذراع حامد
ظهرة التينة
حلة اسرائيل
حلة أبو جلخ
شيبان
المارة
الظهر
عين البلاطة
حلة مصلخ
أبو شقير
الكرنتينة
أبو الزيق
عين العلق
حلة الخرفيش
المقاشير
ظهرة العنزة
الكركندي
الشنول
المحنة
الزبودة
الكرادات
خبيزه
أم الشوف

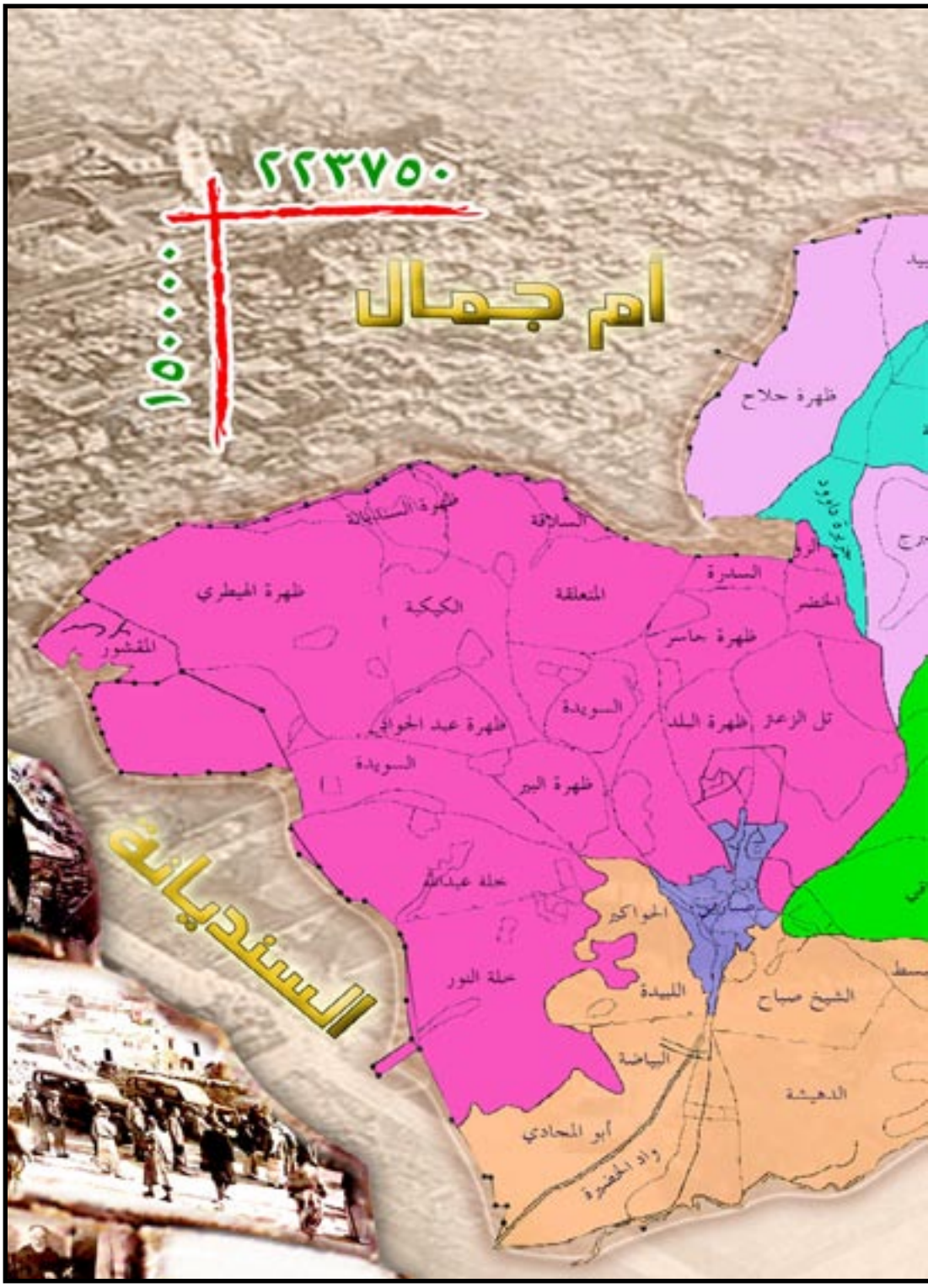

خارطة قرية صبارين . (المصدر : www.palestineremembered.com)

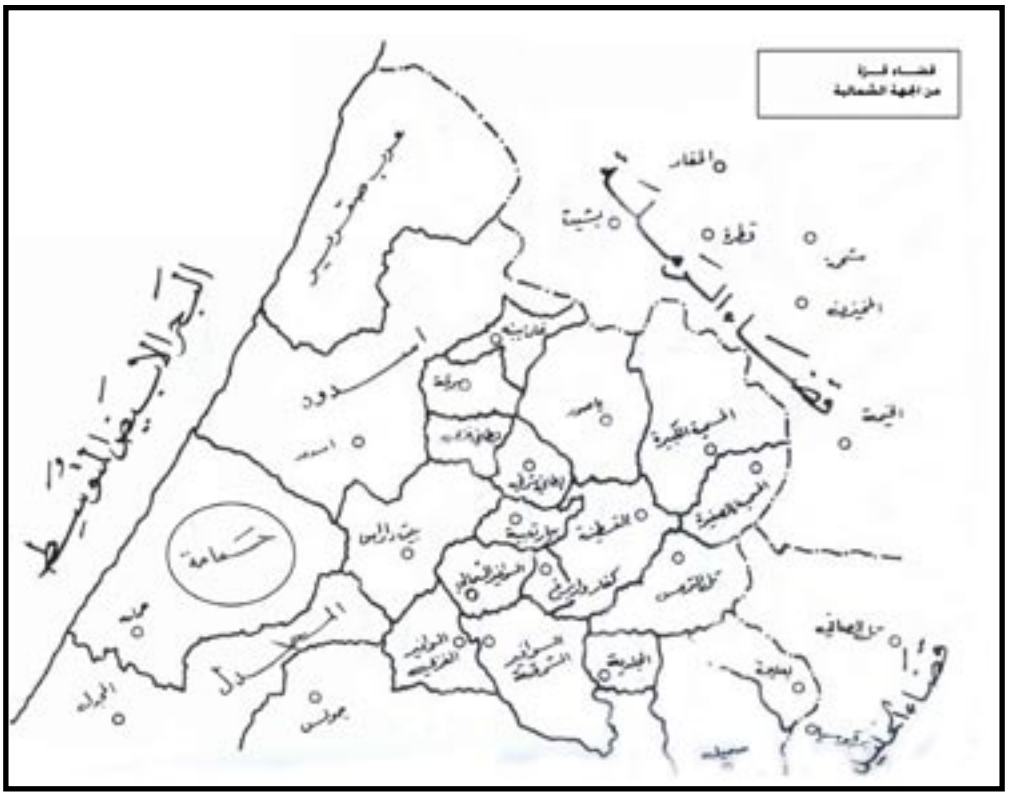
البحر الأبيض المتوسط
حماة
مصر
قطر
بشيبة
الخيمة
الدبة
مجلس
جبل الحمائم

الورقة البحثية الثانية

قريـة حمـامـة

عبدالحميد الفراني*

الفصل الأول: جغرافيـة القريـة

الموقـع

تقع قرية حمامة في الجنوب الغربي من فلسطين، وعلى بعد كيلومترين اثنين من البحر الأبيض المتوسط، وبالتحديد في لواء غزة، قضاء المجدل "عسقلان"، وتبعد عن غزة المدينة نحو ٢٤ كيلو مترا من الناحية الشمالية الشرقية.(١)

تحيط بالقرية كثبان رملية طويلة من الشرق والغرب. وكانت قرية حمامة مبنية في موقع "تل مشفقة"، الذي تبين بحسب أحد المصادر أنه بيزنطي، يعود إلى أوائل القرن الخامس الميلادي، وهو موقع "بيلايا" نفسه، وهذا الاسم يعني باليونانية "حمامة" أيضا. وكان الطريق العام الساحلي، وخط سكة الحديد يمران على مسافة قصيرة منها.(٢) ويمر شرقها على بعد ٥ كيلو مترا أنبوب نفط إيلات – اسدود، وتربطها طرق ثانوية بالطرق الرئيسية الساحلية.(٣)

وكان الشارع الرئيسي للقرية الذي يقع شرقها، طريقاً يأتي من غزة حتى يصل إلى يافا،(٤) كما ويوجد شارع رئيسي آخر يربط حمامة بمدينة المجدل.(٥) إلى جانب ذلك، هنالك شوارع فرعية كثيرة تربط قرية حمامة بالقرى والمناطق المجاورة، كقرية اسدود، وساحل البحر، وسكة الحديد شرقي القرية.(٦)

الحـدود والمساحـة

تحيط بقرية حمامة أراضي كل من قرى اسدود وبيت دراس ومدينة المجدل،(٧) ومن الغرب يحدها البحر الأبيض المتوسط، حيث يبعد شاطئ البحر عن قرية حمامة ما يقارب ٢ كيلومترا.

---

* **عبدالحميد جمال عبدالحميد الفراني**: من قطاع غزة، ماجستير في التاريخ الإسلامي، ويعمل حالياً كمحاضر بقسم التاريخ والآثار في الجامعة الإسلامية.

ويحد القرية من الجنوب أراضي مدينة المجدل التي تبعد عنها ٢ كيلو مترا،[٨] ويفصلها عن القرية بيارة مزروعة بالحمضيات يملكها أحد أفراد عائلة آل أبو شتيلة.[٩] ومن الشمال يحد القرية اسدود، ويفصل بينهما أراض زراعية،[١٠] كما تحدها قرية بيت دراس من جهة الشرق.[١١]

وبلغت مساحة أراضي قرية حمامة الكلية (من زراعية ومبان ومشاع وطرق وخرب وغيرها) ما يساوي ٤١٣٦٦ دونما.[١٢] وقد بلغت الأراضي المزروعة في قرية حمامة ٣٤٧٠٥ دونماً، أي ما يقارب ٨٤٪ من أجمالي مساحة القرية. أما مساحة المباني في القرية، فقد بلغت ١٦٧ دونماً.

ووفقاً لتوزيع الأراضي لعامي ١٩٤٤–١٩٤٥، كان العرب المسلمون يملكون من أراضي قرية حمامة ما مساحته ٢٦٨٥٥ دونماً، فيما يسيطر اليهود على مساحة ١٦٩٣ دونماً، وبلغت مجمل مساحة أراضي المشاع ١٢٨١٨ دونماً،[١٣] منها ١٠٨٢ دونماً للطرق والوديان.[١٤]

التضاريس

أقيمت قرية حمامة على سهل منبسط، ورقعة مستوية من الأرض في السهل الساحلي يرتفع قرابه ٢٥ مترا عن مستوى سطح البحر. وتحاذي القرية تلال رملية على طول ساحل البحر بعرض ٢ كم من الشاطئ حتى القرية زرعت حولها أشجار حرجية لتثبتها وتحد من زحفها.[١٥]

ويوجد في القرية العديد من السهول منها: سهل بشة، وسهل معصبة، وسهل المدورات، وسهل الصفرة، وسهل أم الرياح،[١٦] بالإضافة إلى سهل أبو جامع، وسهل بلاس في الجنوب الشرقي للقرية،[١٧] وأيضاً سهل الرسم، وسهل المهيل.[١٨]

كما ويوجد في قرية حمامة العديد من المنخفضات، ومنها البرك، والتي من أهمها:

أولا– بركة حمامة الجنوبية، وتسمى بركة الجرن كذلك: وقد كانت تصل المياه إليها في فصل الشتاء من مدينة المجدل. وقد كانت هذه البركة في منتصف القرية، وكان يسكن على جانبيها بعض البدو الرُحَّل، الذين يعملون في صناعة السكاكين وأدوات الزراعة.[١٩]

ثانيا– بركة "الحرية" وتسمى بركة حمامة الشمالية: كانت هذه البركة دائمة المياه على مدار العام، وكانت تصل إليها المياه من قرية اسدود من منطقة صند حنة، وقد قام السكان بحفر قنوات لها لكي تذهب مياهها إلى البحر. وكانت الأراضي المحيطة بها مخضرة طوال العام، ومزروعة بالخضروات وخاصة الخيار. وعندما كثرت البيارات، قام السكان بفتح قنوات في البركة لتصل منها المياه إلى البيارات، مما ساهم في انخفاض منسوب المياه في البركة.

كما تتواجد في القرية هناك بعض البرك الصغيرة، التي لا تتجمع المياه بها مدة طويلة، ومعظمها يقع ما بين حمامة والمجدل.[٢٠]

ومن أهم أودية قرية حمامة: وادي الجريبة الذي يقع في الجنوب الشرقي للقرية، ويأتي من أراضي المجدل وقرية جولس مخترقاً أرض البركة الجنوبية، متجهاً نحو الغرب، ويلتقي مع وادي حمامة القادم من الجنوب، مكونان بذلك وادياً كبيراً يصب في البحر المتوسط عند مستنقعات "الأبطح". وقد صارت المنطقة المحيطة بها عبارة عن "مواصي"، وقد أخذ أهل القرية يزرعون في هذه المواصي البلح والخضروات.[٢١]

أما وادي حمامة، القادم من مرتفعات المجدل الشمالية فيخترق أرض البركة الجنوبية فاصلاً غربها عن شرقها في الشتاء، ويلتقي مع وادي الجريبة ويكوِّن معه مستنقعات "الأبطح".[٢٢]

وتتواجد في قرية حمامة العديد من التلال، تتوزع على النحو التالي:

١. تل الفراني: وهو تل يقع في الشمال الشرقي من حمامة،[٢٣] قرب الضفة الجنوبية للمجرى الأوسط لوادي "الأبطح" إلى الغرب مباشرة من الخط الحديدي الواصل بين اللد وغزة.[٢٤] ويحتوي التل على أنقاض ومدافن وأساسات من الدبش (الحجارة المتوسطة / الكبيرة)،[٢٥] ويقع هذا التل في أراضي تعود ملكيتها لعائلة الفراني.[٢٦]
٢. تل بشّة: يقع في شمال القرية،[٢٧] ويحتوي على صهاريج مبنية بالدبش وقطع الفخار، وقد تكون كلمة "بشة" تحريف لبيت نشة السريانية، والتي تعني "المخبأ"؛ فيكون المعنى "بيت المختبئين".[٢٨]
٣. تل أبو حراجة: يقع في شرق القرية، بالقرب من منطقة "صند حنة"، وهو من أعلى التلال في القرية.[٢٩]
٤. تل الفرهند: تل صغير يقع شمال القرية، ويحتوي على قطع من الفخار.[٣٠]
٥. تل الصفرة: يقع في الشمال الشرقي للقرية، بجوار تل بشّة.[٣١]
٦. تل أبو جهم: يقع في الشمال الغربي للقرية، بين قرية اسدود وحمامة، ويقال أن سبب تسمية هذا التل بهذا الاسم لوجود قبر أحد أولياء الله الصالحين ويدعى "أبو جهم". وعلى هذا التل بُنيت مستعمرة "نتسانيم" الصهيونية.[٣٢]
٧. تل الحرارية: يقع في الشمال الغربي للقرية.
٨. تل معصبة: يقع في الشمال الشرقي للقرية.[٣٣]
٩. تل العرقوبية: يقع في الناحية الشمالية، بين حمامة واسدود.[٣٤]
١٠. تل الإبطح: يقع في غرب القرية.[٣٥]

الخِرَب والمعالم الأثرية

تزخر قرية حمامة والأراضي المحيطة بها بالمواقع الأثرية مما أكسبها ميزة تاريخية وسياحية كبيرة[٣٦]. والخربة عبارة عن مواقع منبسطة أو قليلة الارتفاع، لا تحتاج للتنقيب والحفر بغية الكشف عنها، فعلى سطحها شواهد أثرية بادية للعيان، كالمخلفات المعمارية المُهدمة، أو الصهاريج أو المعاصر والكسر الفخارية المتناثرة. لون التربة على هذه السطوح رمادي، وبذلك يكون مختلفا عن لون تربة السطوح في المناطق المحيطة بها.[٣٧]

ومن أهم الخرب الموجودة في قرية حمامة:

١. خربة الأبطح: وتقع بجوار البحر الأبيض المتوسط، في الجهة الغربية من قرية حمامة.[٣٨]
٢. خربة صند حنة: [٣٩] تقع في الشمال الشرقي للقرية، قريباً من اسدود.[٤٠]
٣. خربة معصبة: [٤١] تقع في الشمال الشرقي من حمامة،[٤٢] وكان عدد منازلها ٤٤ منزلاً،[٤٣] ويقال أن بها معالم آثار لم يعتنِ بها سكان القرية، كما يوجد بها ضريح الولي أبو طراد.[٤٤]
٤. خربة بشة: تقع في الشمال الشرقي من القرية وتحتوى على صهاريج مبنية من الدبش، وقطع فخار.[٤٥]
٥. خربة خور البيك: تقع في الشمال الشرقي من حمامة، وترتفع ٢٥ مترا عن سطح البحر. وتحتوى الخربة على صهاريج ومدافن وحصى وفسيفساء.[٤٦]
٦. خربة النواميس: تقع إلى الجنوب الغربي من خربة معصبة، وتحتوى على أساسات من الدبش، وقد تكون تحريف لكلمة "ناووس" اليونانية، والتي تعني "المعبد" أو "الهيكل".
٧. خربة المصلى: تقع إلى الشرق من خربة "خور البيك" وترتفع نحو ٥٠ مترا عن سطح البحر، وتحتوى على دبش على وجه الأرض، وفسيفساء وبركة مبنية من الدبش.
٨. خربة مكوس: تقع شرقي قرية حمامة، وتحتوى على أساسات وصهاريج مُهدمة وفخار، ولعلها جمع "مكس" من أصل آرامي بمعنى "الضريبة".[٤٧]
٩. خربة خسة: تقع في ظاهر بزا الشمالي، وتحتوى على صهاريج من الدبش وتل أنقاض منخفض وفخار.
١٠. خربة بزا: تقع شرق خربة المصلى، وقد تكون من جذر "بز" السامي، بمعنى "نهب وخرّب" فيكون معنى البقعة "القرية المنهوبة أو الخربة"، وتحتوى على أساسات وقطع فخارية منتشرة على مساحة واسعة.
١١. خربة السواريف: تقع في الجنوب الغربي من حمامة.[٤٨]
١٢. خربة حجازي: تقع إلى الغرب من خربة النواميس.
١٣. خربة الركب: تقع في الشمال الشرقي من حمامة.

بالاضافة الى الخرب الواردة أعلاه، هنالك عدد آخر من الخرب مثل خربة اللدوال، وخربة القطعة، وخربة المقوسي،[٤٩] وخربة الواويات، وخربة جعدة).[٥٠] كما تتواجد في قرية حمامة عدد من المواقع الأثرية ومنها حجر عيد الذي تتواجد فيه مدافن وآبار وقطع من الرخام والفخار.[٥١] أما مزار الشيخ عواد، فيقع على ساحل البحر في الجنوب الغربي من قرية حمامة، ويرتفع ٢٥ مترا عن سطح البحر، ويحتوي على خزان وأساسات من الدبش وقطع ناووس مزخرف (كلمة يونانية بمعنى المعبد أو الهيكل). [٥٢] بالاضافة الى عدد من المقامات ومنها: مقام الشيخ إبراهيم أبو عرقوب، ومقام أبو طراد، ومقام أبو جهم على حدود أرض حمامة مع اسدود في الشمال الغربي.([٥٣])

الفصل الثاني: تاريخ قرية حمامة

يعود تاريخ قرية حمامة إلى عهود قديمة جداً، ترجع إلى العصر اليوناني، وذلك من خلال الاستدلال على أصل التسمية لقرية حمامة.[٥٤] ويذكر المؤرخ مصطفى مراد الدباغ في كتاب "بلادنا فلسطين" أن أصل الأسطورة يفيد أنه في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد، ظهرت الملكة "سمورامات" في نحو ٨٠٨– ٨١١ قبل الميلاد، التي كان لها شأن كبير في عالم الأساطير. اشتهرت باسمها اليوناني "سمير أميس" المُحرّف عن اسمها الأشوري، واعتبرها اليونانيون بمثابة إله، ونسبوا إليها الكثير من الأعمال الجليلة، وذكرتها الأساطير الواردة في المصادر الإغريقية بانها كانت ابنة آلهة نصفها سمكة والنصف الآخر "حمامة"، وأن عبادتها كانت منتشرة في عسقلان الفلسطينية. وبعد أن ولدت هذه الآلهة ابنتها سمير أميس تركتها في ناحية عسقلان فأخذها الحمام وصار يرعاها، ثم عُثر عليها كبير رعاة الملك فرباها، ولما كبرت تزوجها الملك. والاسم "سمورامات" مُركب من كلمتين "سمو" ومعناها حمامة، و "رامات" ومعناها "المحبوبة" فيكون معناها اسم "الملكة محبوبة الحمام". وما يسترعي الانتباه بهذا الصدد أنه كانت تقع على مسافة أربعة أميال للشمال من عسقلان قرية يونانية تعرف باسم بمعنى "حمامة"، وحتى عام ١٩٤٨، تقوم قرية "حمامة" الفلسطينية على بقعة بتسميتها اليونانية.[٥٥] وذلك ما أعطى المنطقة قداسة مميزة.

وقد اعتمدت كل مصادر دراسة أسماء القرى والمدن والحقول على التأثر بعوامل دينية وجغرافية وتاريخية، كما نجدها متأثرة بأسماء أشخاص أو مجموعات بشرية أو حيوانات.[٥٦] وهناك رواية أخرى حول اسم القرية وهو أن اسم القرية هو "وادي الحمى"،[٥٧] إذ تبرز هذه التسمية دور القرية في العهد الإسلامي، حيث كانت القوات الإسلامية تتخذ من موقع القرية معسكراً لجيوشهم للانقضاض على "عسقلان"، بالإضافة الى أن حمامة كانت المأمن والملجأ للكثير من القرى المجاورة لها، وذلك لغناها بالمؤن والعتاد والمياه.

وفي موقع القرية وقعت معركة بين القوات الإسلامية الفاطمية بقيادة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، والصليبيين بقيادة "جود فري دوبويون" في الثاني عشر من آب ١٠٩٩ ميلادية الموافق لعام ٤٩٢ هجرية. وكان القتال حامياً، إلا أن النصر حالف الأوروبيين وحلت الهزيمة بالفاطميين وتشتت شملهم حتى إن بعضهم لم يجد له مفر سوى البحر فألقوا بأنفسهم باليم، حيث غرقوا في حين احتمى البعض الآخر بشجر الجميز المتوفرة بكثرة في هذه المنطقة، فأحرقها الأوروبيون حتى هلك من كان فيها.[٥٨]

وقد مرّ بالقرية السلطان المملوكي الأشرف برسباي عام ١٤٣٢م،[٥٩] وقد أورد أيضاً الرحالة المتصوف البكري الصديقي في أواسط القرن الثامن عشر أنه زار قرية حمامة بعد أن غادر قرية الجورة.[٦٠]

وفي عام ١١٠٥م قام بزيارة القرية من ضمن زيارته للشام ومصر والحجاز الرحالة عبد الغني بن إسماعيل النقشبندي النابلسي، حيث قال عن القرية: "ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى قرية حمامة، وقد أثار كل منا بذكره شوق وغرام، وهناك قبر الشيخ أبو عرقوب". كما قال أحد الشعراء عن قرية حمامة:

مررنا بالعشي على حمامة ولم نسمع غناء من حمامة
فقلنا هل أبو عرقوب فيها هو ابن عليم الوافي الشهامة
فقالوا يغني طير أرض إذا ما سامها أسامة
هما جنباً تهامة يا عذولي لهذا الناس سموها حمامة.[١١]

وفي قرية حمامة أيضاً، ولد العلامة الإسلامي "شهاب الدين ابن العباس محمد بن عبد الله بن محمد بن داوود بن عمرو بن علي بن عبد الدائم الكناني الشافعي في أوائل ٨٠٩هـ/١٤٠٦م. ولقد نشأ بالقرية ودرس فيها مبادئ العلوم الدينية وتلاوة القرآن على يد رجال دين من القرية، ومنها انتقل إلى غزة ثم رحل منها وتوجه إلى بيت المقدس، وهناك تولى الخطابة في المسجد الأقصى، وجلس للوعظ فاشتهر حتى قيل عنه أنه "ابن الجوزي زمانه". وفي آخر حياته توجه إلى القاهرة، وهناك مرض ثم توفي في عام ٨٧٠هـ.[١٢]

الحكم العثماني

دخلت القوات العثمانية بلاد الشام في العام ١٥١٦، بعد انتصارها في معركة مرج دابق التي هُزم فيها المماليك، وأصبحت بلاد الشام ومنها فلسطين تحت الحكم العثماني. وقد حكم العثمانيون بلاد الشام حكماً مباشراً، وقامت الحكومة العثمانية بتعيين الولاة من أهالي البلاد، مقابل أن يدفعوا الجزية، وأن يكونوا تحت السيادة العثمانية.

وكثير من سكان قرية حمامة والقرى والمدن الأخرى خدم الدولة العثمانية، ومنهم من تجند في الجيش العثماني وحارب معهم ضد أعداء الدولة العثمانية.[١٣] وممن تجند من شباب القرية مع الجيش العثماني كان: "أحمد الحج، وشحادة الحج علي، والحج هليل مقداد، وعمر الرباع، وكذلك محمود عبد ربه دحلان، واسحاق الفراني اللذان كانا ضابطين في الجيش العثماني، وقد حاربوا معه في الحرب العالمية الأولى. لقد دعم أهالي قرية حمامة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى بالمال والرجال.[١٤]

الانتداب البريطاني

بدأت بوادر النشاط السياسي تظهر في قرية حمامة منذ الانتداب البريطاني عندما تشكلت لجان المقاومة ضد البريطانيين والصهاينة. ففي العام ١٩٣٦م، تشكلت أول مجموعة من

الثوار في القرية برئاسة محمود عبد ربه دحلان، الذي خدم في السابق كضابط في الجيش التركي. وكان أيضاً من أعضاء الثورة محمد مقداد، الملقب بـ "الزعيم"، وعمر الفراني، وإبراهيم الفار، واسحق الفراني، ومحمد العمري، ومحمد صقر المُلقب بـ "طبيش"، ورباح أبو صفية المُلقب بـ "الوحش"، وحسن عباس أبو العمرين، ومحمود الدوش الملقب بـ "أبو العظم"، وعمران الخواجة، وخليل أبو سلطان، ورمضان داود الأغا، وشحادة ذيب عبد الصمد عوض.[٦٥]

وبعد قرار التقسيم تتابعت الفرق الثورية في حمامة وجوارها ومن أشهرها: فرقة النجادة في غزة برئاسة كاظم بسيسو، وكونت لها فرعين في حمامة وكان قائد الفرقة، رمضان داود عطا شحادة،[٦٦] وكان لهذه الفرقة نشيد هو:

نجاد يا وجه العلا وخافقة العلم
كن للبلاد الأمل والسيف والقلم
في حالكات النواب لا نهب
واهتف بلاد العرب للعرب.[٦٧]

وبعد فترة تحولت فرقة حمامة وغيرها عن فرقة النجادة إلى فرقة الفتوة بقيادة عبد القادر الحسيني، لأنهم تبينوا أن زعيم النجادة (محمد الهواري) ينتمي للحزب الشيوعي الفلسطيني المرتبط مع الحزب الشيوعي اليهودي. وانطلقت المجموعات العسكرية في حمامة بقيادة حسن سلامة، ومقر قيادتها في الرملة، وعندما جاء المناضل طارق بيك الإفريقي من قبل الهيئة العربية العليا، تولى قيادة المناضلين في المنطقة الجنوبية، ومقرها المجدل.([٦٨])

ورغم محاولات حكومة الانتداب البريطاني للفصل بين الثوار والسكان، فقد استمرت هجمات الثوار ضد الانتداب والمستوطنات الصهيونية، كما استمرت مساعدة الأهالي للثوار. وفي إحدى المرات، قامت مجموعة من الثوار بمهاجمة الجنود البريطانيين، وفروا إلى داخل قرية حمامة، فلاحقتهم القوات البريطانية فأخفاهم الأهالي، وبعد دخول الانجليز القرية هددوا المختار خميس حماد بأنهم سيهدمون ديوانه إن لم يخبرهم بمكان الثوار، فرفض فقاموا فعلا بهدم الديوان وبعد ذلك قام أهالي القرية ببناء الديوان من جديد.[٦٩]

كان البريطانيون يمهدون لقيام الكيان الصهيوني، إذ كانوا يساعدون اليهود في هذه الفترة على شراء الأراضي، وضمها لليهود عن طريق السماسرة العرب. وتعرضت أراضي قرية حمامة كغيرها من القرى الفلسطينية لهذا الأمر، فقام السماسرة بشراء أراضي كثيرة في قرية حمامة خاصة تلك القريبة من مستعمرة "نتسانيم"، والتي ترجع أغلب ملكيتها لأفراد من حمولة المقاديد.[٧٠]

أما عن طلائع شهداء قرية حمامة في ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩، فعُرف منهم: العبد النجار، خليل حسين السر، يوسف انشاصي، محمد علي موسى دحلان، وعبد الهادي محمد أبو مشايخ الفراني.

علاقة سكان القرية باليهود

لقد أقام اليهود الصهاينة المستوطنات بالقرب من قرية حمامة، ومنها مستوطنة "نتسانيم"، وهي عبارة عن كيبوتس يتبع لمنظمة "العامل الصهيوني" (اندمجت منظمة العامل الصهيوني مع منظمة عمال صهيون ليشكلا عام ١٩٦١ منظمة العمال الليبراليين) أسسه في عام ١٩٤٣ يهود من أمريكا الجنوبية. وقد سيطر عليه الجيش المصري في ١٩٤٨، ثم جلا عنه، وأصبح فيما بعد مزرعة نموذجية لتدريب الأحداث. كما جاورت القرية مستعمرة "بير توفيا نعبيا" القريبة من بيت دراس.(٧١)

وقد حرصت المنظمات الصهيونية بعد إعلان قرار التقسيم على عدم إخلاء أي مستعمرة صهيونية تقع في نطاق الدولة العربية المقترحة، إلا بالقوة، على أساس تخطيطهم، بأن حدود الدولة اليهودية تُحدد حسب وجود المستعمرات الصهيونية في فلسطين.(٧٢)

وقد حدثت العديد من الاستفزازات بين الصهاينة والعرب، بعد تعرض القوافل الصهيونية المُحملة بالمؤن والذخائر من مستعمرات الشمال إلى مستعمراتها في قضائي غزة وبئر السبع، وكانت تمر بجانب قرية حمامة الى المدنيين الفلسطينيين.(٧٣) كانت هذه القوافل تمر، إلا أنها سرعان ما بدأت تلحق الأذى بمن تواجههم في طريقها من مزارعين أو رعاة أغنام وبقر، أو سيارات عربية ساعة مرور القوافل، وسقط أكثر من بريء من هؤلاء لا لسبب إلا لأن وجوده تصادف مع مرور القافلة.

وأمام هذه الاستفزازات اضطر الثوار في هذه المنطقة إلى اعتراض طريق القوافل، ومحاولة قطعها بالرغم من تسليحهم المتواضع، وكان لا بد من وقوع مصادمات سرعان ما تتحول إلى معارك على طول القوافل. بالإضافة إلى محاولات المنظمات الصهيونية للتغطية على عمليات تخزين السلاح، واستقبال الصفقات التي بدأت تصل من الخارج لإلهاء الأهالي عنها بمهاجمة قواتهم.(٧٤)

المعارك ضد الصهاينة

تفيد التقارير التي نشرتها جريدة "فلسطين" أن قرية حمامة جُرَّت إلى الحرب من خلال عدد من الضربات الخاطفة التي بدأت في كانون الثاني ١٩٤٨. ففي ٢٢ من ذلك الشهر، هاجم

أفراد من سكان مستعمرة "نتسانيم" المجاورة مجموعة من فلاحي القرية، كانت تعمل في الحقول بين حمامة وأسدود، وأسفر الهجوم بحسب ما ورد في التقارير عن جرح ١٥ عاملاً عربياً، منهم اثنين في حالة الخطر. بعد ذلك بيومين، فتحت وحدة أخرى من المستعمرة نفسها النار على سكان من حمامة، فقتلت هذه المرة واحداً وجرحت آخر. وفي ١٧ شباط، أطلقت مجموعة صهيونية النار على مجموعة من سكان القرية كانت تنتظر الباص على الطريق العام بين حمامة واسدود، فجُرح اثنين، وجاء في صحيفة فلسطين أيضاً أن المهاجمين عادوا إلى مستعمرة "نتسانيم".(٧٥)

معركة دوار المجدل

معركة دوار المجدل أو معركة "كمب خسة" كما يسميها الأهالي جرت بتاريخ ١٧ آذار ١٩٤٨، وذلك عندما انفجرت الألغام التي زرعتها وحدة التدمير بقيادة "حمد دراز" عند دوار المجدل، الساعة الثانية ظهراً، فقلبت إحدى المصفحات اليهودية، وأعقبها اشتعال المعركة. وقد أسرع ثوار الجورة وحمامة وبربرة إلى المشاركة في الهجوم، وأمرهم القائد محمد طارق الإفريقي بتطويق الصهاينة، فقاموا بعملية تطويق ناجحة. دامت المعركة حتى الغروب، وغنم الثوار بسيارة شحن ومصفحة وعدة أسلحة خفيفة، وانتهت المعركة بهزيمة الصهاينة، وأنقذ من تبقى من القافلة على يد القوات البريطانية.(٧٦)

معركة جولس الأولى

تبع معركة دوار المجدل، معركة جولس الأولى في ٢٢ آذار ١٩٤٨، عندما كانت إحدى القوافل الصهيونية تتقدم نحو المجدل، فانفجر لغم قام بزرعه الثوار، تحت إحدى عجلات مصفحة من مصفحات القافلة، فانقلبت وتوقفت القافلة. ودارت المعركة بشدة وظهرت بوادر الانهزام على الصهاينة، فحمل عليهم الثوار العرب، فقوبلوا بوابل من نيران رشاش أحد الصهاينة المطروح جريحاً مما أدى إلى استشهاد كل من حسين عبد الرحمن اللحام، والعيد يحيى الخواجة، وهم من أبرز ثوار قرية حمامة. وحقق الثوار نصرهم، وغنموا مصفحتين سحبوهما إلى المجدل.(٧٧)

معركة جولس الثانية

تبع المعركة السابقة معركة جولس الثانية في ٣١ آذار ١٩٤٨، عندما أخلى البريطانيون معسكرهم الذي كانوا قد أقاموه بالقرب من قرية جولس. فسارع الثوار إلى الاستيلاء عليه واتخاذه مقراً لهم وذلك بهدف منع سير القوافل الصهيونية القادمة من الشمال في طريقها إلى مستعمراتهم في الجنوب بقصد تموينها. ولذا سعى الصهاينة للاستيلاء على هذا المعسكر

لموقعه الاستراتيجي الهام، ولكنهم فشلوا في ذلك وخلفوا ورائهم العديد من القتلى.(٧٨) تركزت الهجمات الصهيونية بعد منتصف شهر آذار على محورين، أحدهما محور اسدود، وذلك بهدف محاولة استنزاف قوة المجاهدين، وتأمين الإمداد وتخزين السلاح في مستعمرة "نتسانيم" الواقعة بين اسدود وحمامة قريباً من ساحل البحر المتوسط، ورفع الحصار عنها. وقد جرى على هذا المحور في الفترة ما بين ٢٦ آذار ١٩٤٨ و ٨ نيسان ١٩٤٨، وثلاث معارك شارك فيها ثوار حمامة واسدود، وفشل الصهاينة في هذه المعارك الثلاث.(٧٩)

معركة بيت دراس

وقعت معركة بيت دراس في ٢٧ آذار ١٩٤٨، وشارك فيها ثوار قرية حمامة، وأصيب منهم محمود حسين أبو ريالة.(٨٠) وبعد هذه المعارك دخلت القوات المصرية الأراضي الفلسطينية في أيار ١٩٤٨، بقيادة الأمير العميد أحمد علي المواوي، وتمركزت هذه القوات في نقطة شمال اسدود.(٨١)

معركة "نتسانيم"

وقعت معركة "نتسانيم" في ٧ حزيران ١٩٤٨. وتقع مستعمرة "نتسانيم" في المنطقة الواقعة بين قريتي حمامة واسدود على بعد ٨ كم شمال المجدل، وكانت تهدد وجود القوات المصرية في اسدود، لذا قررت القوات المصرية مهاجمتها، وهو ما تم بالفعل وأنهت وجودها. وقد شارك في هذه المعركة المتطوعون من القرى المجاورة، ومنها قرية حمامة، وكان لمشاركتهم أثر فعال في سرعة احتلالها، وقد استشهد في هذه المعركة من متطوعي قرية حمامة أحمد أبو عودة.(٨٢)

سقوط حمامة

في ٢٠ تشرين أول ١٩٤٨، تم أعادة انتشار القوات المصرية في المنطقة، إذ انسحبت هذه القوات من المنطقة ما بين اسدود والمجدل الى منطقة أخرى بين المجدل وغزة.(٨٣) وأعقب ذلك، سقوط قرية حمامة بيد القوات الصهونية ضمن المرحلة الثالثة من عملية "يواف" في ٢٨ تشرين أول.٨٤

مع بداية هذه العملية تجمع في حمامة كثير من اللاجئين من القرى المجاورة التي تعرضت لهجمات عسكرية أخرى شنت في الأشهر الماضية. في المرحلة الثالثة من عملية "يوآف"، استغل الصهاينة النجاح الذي تحقق في المرحلة السابقة، فاحتل اليهود قرية القبيبة (قضاء الخليل) وحمامة في نفس الوقت تقريباً. وقد استعملت القوات الصهيونية العديد من الوسائل

بهدف طرد السكان العرب الفلسطينيين، خصوصا وأن هذه المنطقة وقرية حمامة تحديدا كانت تحوي آلاف اللاجئين من اسدود وغيرها.(٨٥)

بعد تهجير السكان من قرية حمامة والمنطقة المحيطة، أقيمت ثلاث مستعمرات بجوار مستعمرة "نتسانيم" على أرض القرية وهي: "نتسانيم"–كفار هنوعر– في ١٩٤٩، و"بيت عزرا" في ١٩٥٠، ومزرعة "اشكولوت" في الخمسينيات.(٨٦)

التهجير

هُجِّر أهالي قرية حمامة إلى غزة. فبعد رحيل القوات المصرية هجر القسم الأكبر من الأهالي، ولم يبق في القرية غير الطاعنين في السن من الرجال والنساء، حيث تم ترحيلهم بشاحنات الى غزة. كان الكثير من أهالي قرية حمامة يتسللون إلى القرية لأخذ بعض أمتعتهم وأموالهم التي تركوها، وقد قتل الكثير منهم وهم يتسللون إلى القرية، عُرِف منهم عمران محمد الخواجة وشاكر محمد الخواجة وعلي نسمان.(٨٧)

بعد ذلك، تم تدمير القرية ومحو آثارها ولم يبق أثر لمنازلها ومعالمها. وتغطي الموقع النباتات البرية ومنها الأعشاب الطويلة، والعوسج والعليق، فضلاً عن نبات الصبار. أما الأراضي المجاورة فهي متروكة وغير مستعملة.(٨٨)

الجرحى والشهداء

بين عامي ١٩٤٨–١٩٤٩ سقط العشرات من قرية حمامة بين جريح وشهيد. ونذكر ممن جرح خلال هذه الفترة: محمود محمد أبو حطب، حسين الدنف، محمد حسن أبو عبيد، ويوسف عبد ربه دحلان. أما عدد شهداء قرية حمامة في عامي ١٩٤٨ – ١٩٤٩ من الذين لم تعرف أسماؤهم، فقد بلغ ٦١ شهيداً. أما الذين عرفت أسماؤهم فهم:

١. فخر يونس عوض	١٩٤٨/١/ ٢٢
٢. حسين حسين حلوق	١٩٤٨/١/٢٤
٣. عثمان خالد الخواجا	١٩٤٨/٣/٢٢
٤. العبد يحيى عوض	١٩٤٨/٣/٢٢
٥. حسين عبد الرحمن اللحام	١٩٤٨/٣/٢٢
٦. محمود إبراهيم الخواجا الملقب "محمود زهرة"	١٩٤٨/٣/٢٢
٧. محمود يوسف أبو سمعان الملقب (العيس)	١٩٤٨/٣/٢٢
٨. يوسف خليل أبو سمعان	١٩٤٨/٤/٣

٩. حسن عبد الرحمن اللحام ١٩٤٨/٤/٢٢
١٠. عبد السلام شحادة ١٩٤٨/٥/٢٤
١١. الحاج إبراهيم رضوان ١٩٤٩/٧/٢٤
١٢. محمد مقداد الملقب (صلعان)
١٣. أحمد أبو عودة الملقب (بالداحول) ١٩٤٨/٨/٧
١٤. العبد محمود الهباش
١٥. راتب محمد سكر
١٦. شحادة علي محمد أبو صقر.(٨٩)

الفصل الثالث: السكـان والعائـلات

تعد قرية حمامة من القرى المصنفة بكثرة سكانها عن باقي قرى ديار غزة، وكان في النية تحويل مجلسها القروي إلى مجلس بلدي لتصبح مدينة، لولا تغير الأحوال في العام ١٩٤٨.(٩٠) وقد بلغ عدد سكان قرية حمامة في عام ١٥٢٢م، ٢٧٣١ نسمة،(٩١) وانخفض بصورة حادة بسبب ارتفاع نسبة الوفيات إلى ٤٦٢ نسمة في العام ١٥٩٦.(٩٢) ولعل ذلك بسبب وباء انتشر بين سكان القرية.

في العام ١٩١٢، بلغ عدد سكان قرية حمامة نحو ٢٠٠٠ نسمة،(٩٣) واستمر بالارتفاع ليبلغ في العام ١٩٢٢، ٢٧٣١ نسمة، (٩٤) ويصل العدد في العام ١٩٣١، الى ٣٤٠١ نسمة، منهم ١٦٨٤ ذكور، و١٧١٧ من الإناث،(٩٥) يقطنون في ٨٦٥ بيتا.(٩٦)

وفي إحصاء العام ١٩٤٥م، قدر عدد السكانٍ في قرية حمامة بنحو ٥٠٧٠ نسمة، منهم ٥٠١٠ من العرب المسلمين، ونحو ٦٠ يهودياً. وفي العام ١٩٤٨م، بلغ عدد سكان القرية ٥٨١٢ نسمة. وحسب إحصائية دائرة الإحصاء المركزية الفلسطينية للعام ١٩٩٨ يبلغ عدد اللاجئين من قرية حمامة لنفس العام نحو ٣٥٦٨٩ نسمة.(٩٧)

وينتشر أهالي حمامة اليوم في معظم أنحاء محافظات غزة، ومنهم خارج فلسطين ويتركز وجودهم في مخيم الشاطئ للاجئين، ومخيم جباليا، ومخيم خانيونس، وحي الشيخ رضوان.(٩٨)

العائلات والحمائل

اولاً- المقاديد أو المقدادية: ويرجع أكثر الكتاب والمؤرخين أصل هذه الحمولة إلى الصحابي المقداد بن الأسود الحضرمي.(٩٩) ولهذه العائلة مكانتها في القرية، والجميع يعترف لهم بشرف النسب، ولهم أبناء عم في حوران، التي هي من أكبر العشائر هناك ومقرها في "بصرى" وعدد قراهم خمسة. وقد كان لهذه الحمولة نفوذ كبير في عهد الدولة العثمانية، وخاصة في أيام السلطان عبد الحميد الثاني، كما أن هناك جماعات أخرى من المقدادية منتشرون في شرقي الأردن، والبقاع وفلسطين، وتملك هذه الحمولة نحو خمس أراضي القرية.(١٠٠) ومن تفرعاتهم (وهم خمسة أخوة لأب واحد هو مقداد):

١. الهباش: ويضم أبو زور، وأبو القمبز، وأبو الزغاليل.
٢. حسونة: ويضم عبد الحميد، زينب، جرادة، وأبو دية.
٣. حلوق: ويضم حدودو، البوجي، والمع.

٤. الأجرب: ويضم الأخسم، زطيم، هليل، ودرباع.
٥. انصيبو: ويضم أبو كوانين، وسلامة.
٦. مقداد الابن: ويضم الأعوج، وأبو طرحة.(١٠١)

ثانياً- الكلالبة: وهم ثلاثة فروع، ويذكرون أنهم من ذرية الشيخ أبو عرقوب صاحب الضريح في قرية حمامة، ويعود نسبهم الى الخليفة عمر بن الخطاب، عن طريق "علي بن عليل" المدفون في قرية الحرم من أعمال يافا.(١٠٢) وقد نزح جماعة من العراقيب إلى قرية "دورا" من أعمال الخليل. والكلالبة ثلاثة فروع هي: آل أبو عودة، آل صلاح، وآل عاشور، وهؤلاء أخوة ثلاثة. ومن تفرعات آل عاشور: نسمان، أبو عبيد، قاسم. ومن تفرعات آل أبو عودة: ادريس، سليمان. ومن تفرعات آل صلاح: القوقا، شبير، وأبو فول.(١٠٣) وهناك أسر تعود للكلالبة، ولا تمت بصلة للتفرعات السابقة وهي: آل أبو حمادة، النبهان، آل الحسني، آل زيدان، آل شرقت، آل الدوش، آل جديد، آل رضوان، آل النجار، آل طالب، آل أبو سمعان، آل العمري، آل الروابعة، وهم مرجان، مزروع، وكسكين.(١٠٤)

ثالثاً- الصقور: وهم آل صقر، وآل طبازة، وآل شحادة، ويقال أنهم أخوة وقيل بأن أصلهم من مصر من بلد اسمها القصاصين، وقد سكن جماعة منهم في بيسان.(١٠٥) ومن تفرعاتهم أيضاً: الجعيدي، الآغا، اللحام، والأقرع، وينضم لهم كذلك عائلة أبو العمرين،(١٠٦) وكذلك حسن عزيز، ولكنهم لا يمتوا بصلة القرابة للصقور.

رابعاً- المصريون: أصلهم مصري، من جنود حملة إبراهيم باشا بن محمد علي باشا.(١٠٧) وتتكون هذه الحمولة من ثلاث أسر كبيرة وهي: آل أبو سلطان وتضم المحروق، أبو قودة، الأشهب، خضر، الأقرع، الساعي، العنين، عطية؛ وآل الخواجة وآل عبد الباري. كما ضمت لهذه الأسر عائلات صغيرة هي: الجسر، الدنف، عوض الله، المحلاوي، انشاصي، العزازي، حطب، النمنم، الفار، فتيح، محيسن، أبو شعير، سعد، أبو رياح، الزيان، البس، المسارعي، العلوي، المصري، بركات، البياري، اسليم.(١٠٨)

خامساً- العووض: ومن تفرعاتهم آل دحلان، آل عوض، آل قاعود، آل صباح، آل اسعيد، آل أبو حجر، آل الأعرج، وآل بلح، وهم بني عم، كما ضم إليهم حرب وسكر، وأيضاً آل أبو ريالة وآل بسيس وعيوش، حمودة.(١٠٩)

سادساً- الشوام: وهم من الشام، كما يبدو من الاسم، ومن أشهر عائلاتهم، أبو صفية والشاعر، السر، كعبر، وشامية.(١١٠) وهناك بعض العائلات الأخرى، آل الفراني نسبة إلى التل المذكور، والشيش، البدرساوي، القصاص، العكلوك، أبو سيف، الحجة، أبو هاني، وغيرهم.

دور المخاتير في القرية

كان لكل حمولة من الحمائل سالفة الذكر مختار خاص بها، يتم اختياره من أفراد الحمولة الكبيرة في الربع، أو يعين من قبل القائم مقام اللوائي،(١١١) ويجمع هؤلاء المخاتير مجلس بلدي يدير شؤون القرية المحلية.(١١٢) وكان يرأس هذا المجلس الشيخ سليمان محمود أبو عودة. ويشرف هذا المجلس على إدارة القرية ونظافتها، فكان يجمع ضرائب المياه، وينفق منها على مرفقي المياه والنظافة.

ويقوم كل مختار بفصل في الخلافات بين أفراد العائلة، أو بين عائلته وعائلة أخرى في حال وقوع خلاف، كما أن المختار هو حلقة الوصل بين العائلة والحكومة. وكان المخاتير ينظرون في المشاكل التي تحدث في القرية، ويتم حلها عن طريق العرف، فكان لأهل القرية بعض الأعراف والقوانين المتبعة في القرية كبقية القرى الفلسطينية.

وفي المشاكل أو القضايا التي تستعصي على المخاتير مثل قضايا القتل والمجرمين، يتم استدعاء العساكر البريطانيين إلى حمامة من ليقوموا بتنفيذ القبض على المجرم، وترحيلهم إلى نور شمس أو إلى القدس. وتواجد في حمامة نقطة تابعة للحكومة، يتم عن طريقها إبلاغ مقام إذا ما حدثت مشكلة في القرية. ولم يكن في القرية سجن فقد كان يتم اعتقال المجرمين وترحيلهم إلى المجدل، وكانت تتم محاكمة المجرمين في المجدل في المحكمة، وعند حدوث مشاكل بين عائلة من القرية مع عائلة من قرية مجاورة كان يتم الصلح عن طريق المخاتير.(١١٣)

وكان من أشهر المخاتير في قرية حمامة والمعروفين آنذاك: عن عائلة الكلالبة، اشتهر منهم: ادريس أبو عودة، وسليمان الشيخ محمود أبو عودة. وعن عائلة المقاديد: عبد العزيز عبد الحميد، دياب حلوق، العبد محمود الهباش، وقد استشهد على يد الصهاينة عندما رفع الراية البيضاء في العام ١٩٤٨، وحسن محمود الهباش. وعن عائلة الصقور: رمضان علي الأغا. وعن عائلة العووض والدحالين: خميس حماد، ونوح قاعود. وعن المصريين: إسماعيل أبو سلطان، ومحمد يوسف الخواجا.

كما كان لكل حمولة أو مختار ديوان يجتمع فيه رجال العائلة يومياً يتداولون في أمورهم الحياتية ومشاكلهم. وكان للمختار هيبة على جميع أفراد الحمولة، ويحظى باحترام الجميع لذلك كان قليلاً ما تخرج القضايا من يده إلى دوائر حكومية لحلها، لأنها كانت تحل على يديه، واشترط فيه العدل والثراء، والعزوة والقراءة والكتابة والعلم.(١١٤)

الفصل الرابع: الحياة الاجتماعية

مباني القرية

كان سكان قرية حمامة يسكنون ببيوت متواضعة، بنوها في موازاة الطرق المؤدية إلى القرى المجاورة، وهو ما أدى الى بروز نمط من البناء يشبه النجمة، وكان أطول امتداد للبيوت باتجاه الشمال والشمال الغربي.(١١٥)

كانت مباني القرية مبنية من الطين قديما، ثم أصبحت مع مرور الزمن بعض المباني تبنى من الحجارة، أو كان يتم خلط "القصل" مع الطين،(١١٦) ويتم بناء الجدران، ثم يضعون طينة بيضاء تخلط بالمياه ويقصرون بها الجدران. كما بنيت بعض المباني في القرية من حجارة "بلوك" (حجارة مصنوعة من الحصا والاسمنت والرمل)، بالإضافة إلى بعض آخر بني بالحجارة القدسية مثل بناية المدرسة.(١١٧)

واشتهر بالعمل في فرع البناء من أهالي القرية كل من محمد سلامة صلاح، محمد شبير، محمد أبو رزق، والعبد قاسم. وكانت أسقف بعض البيوت تتكون من مطارق الحديد والخشب ويصب الباطون فوقها.(١١٨)

وكان في قرية حمامة بعض المباني العالية المسماة "العلية".(١١٩) وكان من أشهر هذه العليات في القرية علية عبد السلام عبد الباري، وعلية حسين القوقا، وعلية عبد القوقا، وعلية سليمان الشيخ أبو عودة.(١٢٠)

التعليم والمدارس

لم يكن في قرية حمامة مدارس زمن العهد العثماني، بل كانت هنالك بعض الكتاتيب ومن أشهرها كتاب الشيخ حامد عوض، وكتاب الشيخ عيسى أبو عودة، وكتاب نوح إبراهيم قاعود، وكتاب محمد مقداد أبو طرحة، وكتاب الشيخ عبد السلام عبد الباري، وكتاب محمد المحلاوي. وكانت هذه الكتاتيب عادة ما تقوم بتدريس وتحفيظ القرآن الكريم إلى جانب تعليم اللغة العربية.(١٢١)

أما في عهد الانتداب البريطاني، فقد تواجد في قرية حمامة مدرستان، مدرسة للبنين، وأخرى للبنات. وقد تأسست مدرسة البنين في العام ١٩٢١، وكان عدد الطلاب فيها ٣٣٨ طالباً،(١٢٢) يعلمهم تسعة معلمين،(١٢٣) وكان عدد فصول المدرسة سبعة،(١٢٤) ولقد تقدمت هذه المدرسة

حتى أصبحت ابتدائية شاملة.([١٢٥]) أما مدرسة البنات، فقد أنشأت فب العام ١٩٤٦، وكانت تضم ٤٦ تلميذة، وتعلمهن معلمتان. ووقعت مدرسة البنات في شرق القرية، أما مدرسة البنين فقد كانت تقع في مركز القرية.

لم يكن التعليم إلزامياً، وكانت المناهج الدراسية إلى الصف الرابع الابتدائي، تتكون من اللغة العربية والحساب، أما بعد الصف الرابع الابتدائي فقد كان يدرس أيضا اللغة الانجليزية، وحصص الزراعة العملية والتربية الرياضية. ومن أشهر المدرسين الذين كانوا يعملون في مدارس القرية كل من رجائي أبو شقرة، وخلوصي خيال، وإبراهيم عبد المنعم، فيما شغل السيد مدحت شبلاق مدير مدرسة البنين.([١٢٦]) وقد قدر أعداد الرجال الملمين بالقراءة والكتابة من سكان قرية حمامة بنحو ألف.([١٢٧])

المواسم

تحتفل قرية حمامة وجميع المناطق المجاورة لها من مدن وقرى بما يسمى بـ "الموسم"، ويتم هذا الموسم في يومي الثلاثاء والأربعاء، ويأتي عادة في الثلاثاء الثالثة من نيسان من كل عام أي قبل عيد الفصح. ويتم "الموسم" على شاطئ البحر، حيث يحضره الناس من كل حدب وصوب، ويكون قد سبقه الإعداد له بأسبوع أو أكثر، إذ يتم ترتيب عرض البضائع التي يجلبها أهل المجدل، من ألعاب وحلويات، وملابس وأدوات زينة وألبسة وغيرها. كما يتم نصب الأراجيح (القلابات) للأطفال، ويبدأ الموسم في الصباح ويستمر حتى المساء، ويبلغ ذروته بعد صلاة العصر.

وكانت قرية الجورة والمجدل مستعدة في هذا اليوم لاستقبال القادمين من القرى والبلاد المجاورة للمبيت، ولا يجد القادم أي حرج في دخول أي بيت يراه طلباً للمبيت، وعادة يلقى الترحاب والتكريم. وفي صباح اليوم التالي (الأربعاء)، ينتقل الموسم إلى وادي النمل، وفيه مقبرة أهل الجورة وبعض الأسر من المجدل، كما يتواجد به عدد لا يحصى من أموات المسلمين ومجاهديهم وعلمائهم، وهو منطقة رملية تحوي الكثير من شجر الجُميز.([١٢٨]) في هذا اليوم، يخرج الناس في مواكب حافلة بالأعلام والطبول إلى ساحة واسعة تحت سور عسقلان الشرقي حيث توجد القبور القديمة أو ما يعرف بـ "وادي النمل"،([١٢٩]) ويخرج الناس ظهراً للبحر للتنزه والاستجمام وممارسة الألعاب الرياضية.

في يوم الأربعاء، يقوم السكان في وادي النمل بشراء ما يريدونه كل حسب حاجاته وقدرته.([١٣٠]) بعد صلاة الظهر، يتوجه السكان إلى مشهد الحسين والساحة المحيطة به والذي يبعد نحو كيلو متر شرق وادي النمل.([١٣١]) وهناك يجري استعراض لفرق الدراويش (الصوفية)، كما يجري استعراض سباق للخيل، وينتهي الموسم في المساء. ويتلو الموسم

عادة "خميس الحلاوة" حيث يتم عرض أنواع من الحلاوة المختلفة للبيع كالطحينية، والجزرية، والقرعية.(١٣٢)

العلاقات مع القرى المجاورة

اهتم سكان قرية حمامة بالصلات الاجتماعية، وتربية الأبناء وتعليمهم، سواء كان التعليم القراءة والكتابة أو المبارزة والسباحة وركوب الخيل، وكان في القرية بعض المشاهير من الجيل الشاب مثل علي محمد مصطفى دحلان، علي أبو ريالة، أبو العبد، يحيى عوض. كما كان سكان القرية يعشقون الفنون الشعبية مثل الدبكة في الحفلات والأعياد والمواسم.(١٣٣) ولكن علاقات أهالي القرية لم تقتصر على أهل القرية فقط، فقد كانت تمتد إلى القرى المجاورة، وهي علاقات تميزت بالود والمحبة المتبادلة. فكان أهالي القرية يتناسبون ويتصاهرون مع أهالي القرى والمدن المجاورة. وكثير من أهالي حمامة تزوجوا من المجدل والقرى الأخرى، وقدرت أعدادهمه بنحو ٣٠ رجل، كما تزوجت الكثير من فتيات القرية من شبان من القرى المجاورة.(١٣٤)

وضع المرأة في القريـة

لم يقتصر دور المرأة في القرية كونها ربة بيت، فإلى جانب ذلك، كانت المرأة من الدعائم الأساسية للأسرة في القرية الفلسطينية. فكانت المرأة تقوم بعدة أعمال تشارك الرجل في أعماله، ومنها بنقل المياه من الآبار،(١٣٥) ومساعدة الرجال في موسم الزرع والحصاد.(١٣٦) وتقوم بمساعدة زوجها بنقل البضائع، والتجارة والبيع في الأسواق. ومن النساء من كانت تعمل في حراسة البيارات في قرية حمامة ومنهن السيدة ليلى الخواجا.(١٣٧) من الجدير بالذكر، أنه في العام ١٩٤٥ تم افتتاح فرع خاص في مدرسة القرية لتعليم الفتيات.(١٣٨)

الـزي الشعبـي

كان سكان المجدل وقراها يتوحدون في الملبس والمأكل والسلوك والمناسبات الاجتماعية، فالمرأة سافرة الوجه، ترتدي ثوباً طويلاً أسود به خطوط طويلة ملونة حتى أخمص قدميها، من صناعة المجدل غالباً، وقد يكون من خيوط الحرير أو القطن.

ولأثواب النساء مسميات حسب الخطوط الطويلة المُلونة في الثوب، فإذا كان الخط أحمر سُمي الثوب "جلجي"، وإذا كان خطان متوازيات أحمر وأخضر سمي الثوب "جنة ونار"، أما ثوب "أبو متين" فهو الذي له خطوط حمراء وخضراء على الثوب.

أما الزي الرسمي للمرأة في المناسبات، وبخاصة الشابات فهو "الثوب الشمالي"، وهو عبارة عن قطعة من القماش الحرير الأسود المُطرَّز بخيط، ويأخذ التطريز أشكالاً متعددة، الكف والخنجر وغيرها. وترتدي على رأسها منديلاً مخططاً يغطي كتفيها، أو شاشة بيضاء أو منديلاً مطرزاً بالخرز في المناسبات، وتربط وسطها بحزام من القماش الحريري أو القطني.(١٣٩)

أما الرجل فيرتدي القمباز "الدماية"،(١٤٠) والساك (الجاكيت الطويل أو القصير)، وهو من الصوف في الشتاء أو من الحرير أو القطن في الصيف،(١٤١). ويضع الرجل على رأسه "الكوفية" الحطة البيضاء والعقال الأسود.

وفي الأوقات العادية يرتدي الرجال القميص والسروال،(١٤٢) وهو امتداد للشروال التركي، من الصوف أو القطن أو الحرير. ويضع بعض الرجال وبخاصة المتقدمين في السن عمامة من الأغباني الحرير، تلف حول طربوش،(١٤٣) أو لفة عادية من الحرير أو القطن حول طاقية بيضاء تغطي الرأس.(١٤٤)

مراكز التطبيب

لم تكن في قرية حمامة أي من مراكز التطبيب، وكان المريض يتم نقله إلى مدينة المجدل للعلاج، أو إلى غزة. ولم يكن في القرية مستشفى ولا مركز صحي وكانت بعض الحالات المرضية الخفيفة يتم علاجها عند الحلاقين (اشتهر منهم بالقرية أبو مروان الحسني، والصوفي)،(١٤٥) وأخرى عن طريق التداوي بالأعشاب.(١٤٦)

وفي حالات الكسر، كان يوجد في القرية مُجبِّر يجبر الكسر واسمه حسن القوقا، وفي بعض الأحيان كان يتم نقل المريض إلى المستشفى في المجدل أو إلى غزة.(١٤٧) وفي حالات الولادة، كانت تتم عملية الولادة عن طريق النساء الولادات (الدايات) وعرف منهن أم أبو شاويش (عايدة).(١٤٨)

كما كانت تحضر إلى القرية بعض البعثات الطبية من مصر لتقديم العلاج ومساعدة سكان القرية. وفي السنوات الأولى من القرن العشرين، وتحديدا في العام ١٩٠٧، انتشر وباء الكوليرا في منطقة حمامة مما أدى الى موت الكثير من أهالي القرية. كما انتشرت في أوقات أخرى أمراض وأوبئة أخرى كالحصبة.(١٤٩)

الأغاني الشعبية

تحظى الأغاني الشعبية بأهمية كبيرة في المجتمع القروي، فهي وسيلة من وسائل التسلية والتعبير عن مكنونات النفس، ولا تكاد تمر حادثة أو مناسبة أو موقف إلا ذكر فيه أغاني ومواويل شعبية.

والأغاني الشعبية تمثل نزعات مختلفة عند الإنسان قد تكون معبرة عن الأفراح، كما قد تكون معبرة عن الأتراح وقد تكون أغاني خاصة بالرجال، كما قد تكون أغاني خاصة بالنساء، ولكل لحنه الخاص. ومما كان يتغنى به في يوم العرس:

يا زريف الطول عبي بحزامك — يا زريف الطول عبي بحزامك
من عيون الناس ربنا يسلمك — من عيون الناس ربنا يسلمك
لأجيبلك مشط ينزل من السما — وأجيبلك مشط ينزل من السما
واتمشط يا زين يا ريته أنا — وأتمشط يا زين يا ريته أنا
يا زريف الطول صبي وما أحسنك — يا زريف الطول صبي وما أحسنك
من عيون الناس ربنا يسلمك — من عيون الناس ربنا يسلمك.(١٥٠)

وأيضاً:

يا خي محمد يا بلحتي وأنا أسقيها — وعاليه والحب غاطيها.
واحتار اليهود تيقطعوها ويرموها — وتخس الأعادي ولا قدروا يقيدوها.
يا خي علي يا خي الخوات — يا خبز الشماليات
يا خشبة ثقيلة — على رقاب العدوات.

ومن الأغاني التي كانت تردد في ليلة الحنا:

يا حنا دموعنا طول الليل وجوعنا — لونا درينا لجبنا الرز معنا
فلفلنا وأكلنا ولا عزن الجميلة — لونا درينا قتلنا الساقعة
لونا درينا لجبنا الحصيرة — فرشنا ونمنا ولا عزنا الجميلة.(١٥١)

ومن الأغاني الشعبية التي تدل على الشجاعة والبأس:

يا عبلة عنك قولاً مفترى — واصغي إلى قول المحب المخبر
خذي كلاماً صيغته من عهد — من عانية مرصعة بالجوهر
يا عبلة لو عاينت فعلي في العدى — من كل شل في التراب معفر
يصيحون عنترة الفرسان أجبتهم — وصددت خيلهم بصدر الأبجر
ودماؤهم فوق الدروع تخضبت — منها فصارت كالعقيق الأحمر
يا عبلة خلي عنك قولاً مفترى — واصغي إلى قول المحب المخبر

يا عبلة دونك كل حي فاسألي إن كان يوجد لك شبهة من عنتر
يا عبلة كم من جحفل مثل الضباب هزمته بمهند ماض ورمح أسمر
ودماؤهم فوق الدروع تخضبت منها فصارت كالعقيق الأحمر.([١٥٢])

بالإضافة إلى وجود الزجل الشعبي والذي كان سائداً بكثرة بين أبناء القرية ومن أنماط هذا الزجل:([١٥٣])

يا طولك طول عود الزان واقف سلاله حمير تمن عظم واقف
ولك بدي أروح قال تمك واقف عبد ما أقول لحين الطالب
يا طولك طول عود الزان وأحلى يا مشروبك لبن وأقراص نحلة
يا مأكولك لبن وقراص نحلة ومشروبك لبن وجه الرقاب

خطم على خطماته عجيبة وخطم الديب على خديدك عجيبة
قوموا تفرجوا يا أهل العجيبة غزال وماسكة وحش الخلا

دخلت بستان باتفرج عليه لقيت زين المحاسن فارش وجالس فيه
سحبت سيف اليماني قصدنا نرميه رمش بعينه رماني قبل ما أرميه

حراث البقر ما أطول معانيك قتلت البقر من طول معانيك
حلفت البيض ما بتدخل أراضيك ما دام السيف بلعب على الرقاب.([١٥٤])

الفصل الخامس: النشاط الاقتصادي

الزراعة

تعتبر الأرض في المجتمع الزراعي أهم وسيلة انتاج، ولقد كانت الزراعة في قرية حمامة العمود الفقري للقرية، فقد بلغ مجموع الاراضي الزراعية في القرية ٣٤٧٠٥ دونماً أي ما نسبته ٨٤٪ من إجمالي مساحة القرية البالغة ٤١٣٦٦ دونماً.[١٥٥] وفي عامي ١٩٤٤-١٩٤٥، قدرت الأراضي الزراعية المخصصة لزراعة الحمضيات والموز بنحو ٩٦١ دونما، و ٢٠٩٩٠ دونماً للحبوب، و ٤٣٢٥ دونماً للبساتين.[١٥٦]

وتشتهر قرية حمامة بزراعة الخضروات المبكرة مثل الفاصوليا والبندورة في أوائل شباط.[١٥٧] ولقد كان تقسيم الأرض في العهد التركي في قرية حمامة - وبقية القرى الفلسطينية- على نظام "القراريط" (مساحة من الأرض كان متعارف عليها بين اهل القرى)، وبموجبه لكل رب أسرة قيراط واحد في كل منطقة من المناطق الزراعية وخصوصا الأراضي المشاع. وفي كل فترة، كان المزراع ينتقل من المنطقة التي استغلها إلى قطعة أخرى، أما الأرض غير الصالحة للزراعة، فقد كانت تترك لرعي المواشي لجميع أهالي القرية.[١٥٨] وفي عهد الانتداب البريطاني قسمت أراضي القرية إلى خمسة أجزاء، سمي كل جزء منها (رُبع) على عدد العائلات الكبيرة، وسميت الأرباع الخمسة كالآتي: ربع الكلالبة، وهو خاص بحمولة الكلالبة ومن يلحق بهم في الحي؛ ربع حمولة الشوام مع حمولة الصقور؛ ربع حمولة العووض ومعهم عائلة الدحالين؛ ربع حمولة المقاديد؛ وربع الفلتية والذي منح للأسر المصرية الوافدة.[١٥٩]

وقد عين لكل ربع مختاراً يقوم بحل الخلافات بين أفراد العائلة، ويكون بمثابة حلقة وصل بينها وبين الحكومة، وقد قسمت أراضي الربع على أفراد العائلة من أرباب الأسر بالتساوي. وفي العام ١٩٢٧، سجل كل جزء على اسم صاحبه لكي يصبح له حق التصرف به، وهكذا حتى أصبحت الأرض ملكية خاصة بعدما كانت ملكيتها مشاعاً للجميع، وكانت هذه سياسة الانتداب لتسهيل عملية بيع الأراضي لليهود.[١٦٠]

وقد أجرت حكومة الانتداب ذاتها إصلاحاً في المجال الضريبي، فألغت نظام الالتزام في جباية العُشر وتولت جبايتها بنفسها من خلال لجان تسمى "لجان التخمين" أوكلت إليها تخمين حصة الإدارة من غلال القرية عيناً. وكان الحاكم العسكري يحدد سعر استبدال العين بالنقد سنوياً.[١٦١]

ونمط الزراعة في قرية حمامة نوعان، بعلية، ومروية، وهي في أغلبها الزراعة بعلية. ولذا فقد

كانت نتائج المواسم الزراعية متوقفة على الأمطار من حيث الكمية والوقت المناسب الى حد كبير. وكانت الأسرة بأكلمها تشارك في عملية الزرع والحصاد.

ورغم ذلك، فلم يكن جميع أهالي القرية يمتلكون الأراضي الزراعية، وكان من لا يملك مثل هذه الأراضي يعمل كأجير في مجال الزراعة وخاصة في موسم الحصاد، وفي أغلب الأحيان كانت الأجرة ليست نقداً وإنما تكون جزءاً من المحصول الزراعي.(١٦٢)

ومن أهم المزروعات البعلية على صعيد الحبوب في قرية حمامة هو محصول القمح، والشعير. ومن أهم الأشجار البعلية المثمرة كانت التين والبطيخ والعنب والزيتون، ولعل من أشهر هذه المزروعات هو العنب والتي اشتهرت به قرية حمامة وكان يزرع خاصة على الشريط الساحلي.

أما المزروعات المروية في قرية حمامة، فنذكر منها البرتقال والخوخ والمشمس والتفاح.(١٦٣) ومن أشهر المناطق الزراعية في قرية حمامة كانت مناطق بلاس، المدورات، بشة، الصفرة، معصبة.(١٦٤) ومن أشهر الملاكين الزراعيين، كانوا الحج هدى رضوان الذي كان يملك العديد من كروم العنب، وسليمان الشيخ أبو عودة والذي كان يمتلك العديد من بيارات البرتقال، وحمدان مقداد، وآل القوقا.(١٦٥)

الصناعة والحرف

اشتهرت قرية حمامة بتخصصها بصناعة أدوات الجني مثل السلال، التي كانت تصنع من الغار وفروع أشجار الرمان والتي يطلق عليها "مطارق الرمان". ومن أشهر من كان يعمل بصناعة السلال في قرية حمامة، كل من آل البس، وآل شحادة، وآل صقر، وآل حمادة، وآل أبو هاني، وآل البدرساوي، محمد المحلاوي. ولقد كانت طريقة صناعة السلال تتم عن طريق وضع فروع أشجار الرمان أو الغار في أحواض من المياه لكي تصبح سهلة الانثناء، ومن ثم يقص الفرع إلى عدة قطع، وبعدها تبدأ مرحلة نسج السلال.(١٦٦)

كما كانت قرية حمامة تمتلك العديد من معاصر الزيتون والتي كانت تسمى "البد"، وبلغ عددها ما يقارب اثنا عشر معصرة وهي ملك لعدة أشخاص منهم: معصرة حمدان مقداد، وقد كانت من أكبر المعاصر وأشهرها؛(١٦٧) معصرة آل شحادة؛(١٦٨) معصرة آل القوقا؛(١٦٩) ومعصرة سليمان الشيخ محمود أبو عودة؛(١٧٠) بالاضافة الى معاصر أخرى تتبع لآل دحلان وآل شامية وآل عبد الباري وآل أبو سلطان وآل حماد.(١٧١) وتواجدت في قرية حمامة مطحنتين لطحن الحبوب مثل حبوب القمح والشعير والذرة، وتسمى هذه المطاحن "بابور الطحين". وكانت هذه المطاحن تتبع لسليمان الشيخ محمود أبو عودة، وأخرى تتبع لأبناء إبراهيم أبو سلطان.(١٧٢)

وتواجدت في قرية حمامة العديد من الحرف لسد الاحتياجات الأولية الضرورية، ومن هذه المهن مهنة البناء، وأشهر من عمل بها محمد سلامة صلاح، العبد قاسم، محمد أبو رزق، محمد شبير.(١٧٣)

كما تواجد في قرية حمامة ثلاثة أفران وهي: فرن سليمان الشيخ محمود أبو عودة؛ فرن آل أبو سلطان؛(١٧٤) وفرن خالد الخواجا.(١٧٥)

ومن المهن الأخرى كانت مهنة الجزارة، ومن أشهر الجزارين في قرية حمامة كان الشيخ مصطفى صلاح، وأبو كامل أبو سلطان، ومحمود الدنف، وأحمد اللحام.(١٧٦) وهنالك مهنة النجارة وكان من أشهر النجارين في قرية حمامة هم خميس قاعود، وإسماعيل قاعود، واقتصر جل عملهم على صناعة آلات الحراثة الخشبية.(١٧٧) بالإضافة إلى مهنة بيع الأقمشة، ومن أشهر من كان يعمل فيها في قرية حمامة هم محمدين الدنف، ومحمد سكر، وأحمد اللحام.

صيد الأسماك

تبعد قرية حمامة عن شاطئ البحر المتوسط ما يقارب ٢ كيلو متر، وهو ما قاد العديد من سكانها باحتراف مهنة الصيد. ولعل من أشهر العائلات التي عملت في هذه المهنة عائلة القوقا، الأخشم، نسمان، نصيو، أبو سلطان، وأبو طرحة.(١٧٨)

وقد كانت عملية الصيد تتم بطرق مختلفة، فهناك من يصيد بشباك اليد، وهناك من يصيد بواسطة مراكب صغيرة تسمى "أفلوكة" والتي يبلغ طولها مترين في عرض مترين، أو مراكب أكبر تسمى "مبطنة" وهذه لها أربع مجاذيف مع قلوع، وتتسع لما يقارب عشرة أشخاص، وأما عن أهم أنواع الشباك التي كانت تستخدم في عملية الصيد، فهناك ما يسمى "الملاطش"،(١٧٩) و "شبكة اللوكس"،(١٨٠) و "شبكة الجرف"،(١٨١) و "الشرك".(١٨٢)

بعد إتمام عملية الصيد يقوم الصيادون بعملية البيع والتي قد تتم على شاطئ البحر أو في داخل القرية، وعند الصيد الوفير كان الصيادون يذهبون لبيعه في يافا. جدير بالذكر، أنه لم يكن يسمح لأي شخص بممارسة مهنة الصيد، وكانت السلطات البريطانية تمنح التراخيص لمزاولة هذه المهنة.(١٨٣)

التجارة والأسواق

التجارة نوعان داخلية وتقوم على بيع الإنتاج الزراعي مباشرة بين الأهالي، والخارجية التي تقوم على تصدير فائض الإنتاج الزراعي، والفائض من الثروات السمكية إلى مختلف المدن

والقرى الفلسطينية المجاورة، وكانت الجمال الوسيلة الأفضل لنقل المنتجات المراد تصديرها. ولعل من أهم المدن التي كانت قرية حمامة تتعامل معها تجارياً هي مدينة يافا وحيفا والمجدل واللد والرملة، وخاصة بيع الخضار ومحصول العنب، وكذلك الأسماك وخاصة في المواسم الوفيرة.(١٨٤)

وكان السوق يقع في مركز القرية، حيث تتم فيه عملية البيع والشراء، إلى جانب وجود بعض محلات السمانة، ومن أشهرها دكانة عبد الله قاسم، ودكانة عبد الرحمن الدنف، ودكانة محمدين الدنف، ودكانة أحمد البشيتي، ودكانة حسونة شبير.(١٨٥)

الخاتمة

ختاماً، احمد الله تعالى على إنهاء هذا البحث آملا منه أن يكون قد أسهم ولو بالقليل في سبيل توثيق قرانا الفلسطينية التي دمرها الصهاينة. إن الحديث عن قرانا الفلسطينية يثير حنين العودة إلى ارض فلسطين وترابها الطاهر وهذه الدراسة المتواضعة لا يمكن لها أن توفي إلا بجزء صغير من حبنا لفلسطين. لقد توصلت إلى عدد من النتائج والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

١. ليس للصهاينة أي حق في فلسطين وقراها ومنها قرية حمامة.
٢. قرية حمامة قرية فلسطينية عربية إسلامية دمرها الصهاينة ولم يكن لهم فيها أي حق.
٣. احتوت قرية حمامة على العديد من الآثار والخرب والمدافن التاريخية التي تدلل على تاريخ حافل عاشته حمامة، وأكد على هويتها العربية والإسلامية.
٤. عاشت قرية حمامة حياة هانئة وهادئة حيث الأرض الخصبة والمحاصيل الوفيرة والطقس المعتدل.
٥. شارك أهالي قرية حمامة في صد العدوان الصهيوني، وقدموا الشهداء والجرحى في سبيل الحفاظ على الهوية الفلسطينية.

الهوامش

(١) هيئة الموسوعة الفلسطينية. *الموسوعة الفلسطينية*. دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ج٢، ق١، ط١، ١٩٨٤، ص٢٧٣.

(٢) الخالدي، وليد. *كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨ وأسماء شهدائها*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧، ص٥٣٧-٥٣٨.

(٣) هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٧٣.

(٤) مقابلة مع: رمضان محمد شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.

(٥) مقابلة مع: إسماعيل يونس أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.

(٦) مقابلة مع: إبراهيم العبد القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩.

(٧) الدباغ، مصطفى مراد. *بلادنا فلسطين*. كفر قرع: دار الهدى، ج١، ق٢، ط٢، ١٩٩١، ص٢٤٥.

(٨) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: محمد فؤاد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.

(٩) مقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩.

(١٠) مقابلة مع: رمضان عبد الرحمن عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩.

(١١) هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، ج٢، ق١، ص٢٧٣.

(١٢) الدونم هو وحدة لقياس مساحة الأرض، والدونم الواحد يساوي (٩١٩م٢)، الخالدي، وليد، كي لا ننسى، مصدر سبق ذكره، ص٧٢٧.

(١٣) الخالدي، وليد، مصدر سبق ذكره، ص٥٣٧.

(١٤) الدباغ، مصطفى مراد، مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٤٥.

(١٥) هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، ج٢، ق١، ص٢٧٣.

(١٦) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.

(١٧) مقابلة مع: محمد فؤاد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.

(١٨) مقابلة مع: محمد حمدان مقداد، بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩.

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.

(٢١) المصدر السابق.

(٢٢) ويسمى وادي "إبطح" ويطلق عليه بالعبرية "نحال يفتاح". خمار، قسطنطين. *موسوعة فلسطين الجغرافية*، بيروت: مركز الأبحاث، م-ت-ف، ط٣، ١٩٨٨م، ص٩؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.

(٢٣) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٦٤.

(٢٤) خمار، قسطنطين. مصدر سبق ذكره، ص١١٩.

(٢٥) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٤٨.

(٢٦) مقابلة مع: يوسف محمود حسونة، بتاريخ: ١٥/ ٤/ ١٩٩٩.

(٢٧) مقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.

(٢٨) الدباغ، مصطفى مراد، مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٤٦.

(٢٩) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.

(٣٠) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٤٨؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.

(٣١) مقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩.

(٣٢) مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.

(٣٣) مقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(٣٤) المصدر السابق.
(٣٥) مقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(٣٦) الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٥٣٩.
(٣٧) هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، ج٢، ق١، ص٣٣٣-٣٣٤.
(٣٨) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(٣٩) يوجد خربة بنفس الاسم على مسافة ٢ كم من بيت جبرين، وتسمى بالعبرية "تل ماريشا". خمار، قسطنطين، مصدر سبق ذكره، ص١١٦.
(٤٠) مقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(٤١) ورد ذكرها "بمعسابة" في: الدباغ، مصطفى مراد، مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٤٧.
(٤٢) مقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(٤٣) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٤٧.
(٤٤) مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(٤٥) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٤٨.
(٤٦) المصدر السابق، ج١، ق٢، ص٢٤٧.
(٤٧) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، جزء ١، قسم ٢، ص٢٤٧.
(٤٨) المصدر السابق، ج١، ق٢، ص٢٤٧.
(٤٩) مقابلة مع: محمد مقداد، بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(٥٠) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(٥١) الدباغ، مصطفى مراد، مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٤٨.
(٥٢) المصدر السابق، ج١، ق٢، ص٢٤٦.
(٥٣) مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(٥٤) تعددت أسماء حمامة في أماكن كثيرة في فلسطين وخارجها منها: حمامة في شمال محافظة إربد في الأردن. الدباغ، مصطفى، مصدر سبق ذكره، ج٣، ص٤٣٠.
حمامة: ماء لبني سليم من جانب العلياء القبلي، وقيل إن حمامة ماء لبني سعد بن زيد مناة بن تميم، العرمة، الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج٢، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠، ص٣٤٤؛ الخالدي، وليد، كي لا ننسى، ص٥٣٨.
(٥٥) الدباغ، مصطفى مراد، مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٤٤.
(٥٦) عراف، شكري. *القرية العربية الفلسطينية، مبنى واستعمالات أراضي*. القدس: دار نشر إلى العمق، ط٣، ١٩٩٦، ص١٤٠-١٤١.
(٥٧) أبو صفية، حسين حسن. *ملخص عن قرية حمامة*، كتاب غير منشور، ص٢.
(٥٨) الدباغ، مصطفى، مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص١٦٥.
(٥٩) الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٥٣٨.
(٦٠) المصدر السابق، ص٥٣٩.
(٦١) النابلسي، عبد الغني بن اسماعيل. *الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز*. الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦، ص١٥٠. وقد أورد هنا سبب تسمية حمامة بهذا الاسم، إذ يبدو أن أسامة بن زيد عندما وصل لفتح عسقلان احتمى بالقرية.
(٦٢) السخاوي، شمس الدين بن عبد الرحمن بن محمد. *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت: منشورات مكتبة الحياة، ج١، بدون ذكر رقم الطبعة، ص٢٦٦-٣٦٣.
(٦٣) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩، ومقابلة مع أبو العمرين، بتاريخ: ٣/ ٣/ ١٩٩٩.

(٦٤) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(٦٥) أبو صفية، حسين، مصدر سبق ذكره، ص١٠.
(٦٦) حمودة، أحمد عبد الرحمن وآخرون. *موسوعة المدن الفلسطينية*. دمشق: دار الأهالي، ط١، ١٩٩٠، ص٦٨٦، ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(٦٧) أبو صفية، حسين. مصدر سبق ذكره، ص ١٠-١١.
(٦٨) حمودة، أحمد عبد الرحمن وآخرون. مصدر سبق ذكره، ص٦٨٦؛ وأبو صفية، حسين. مصدر سبق ذكره، ص١٠؛ ومقابلة مع: محمد مقداد بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(٦٩) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩، ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(٧٠) مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩، ومقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩، ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩، ومقابلة مع: يوسف محمود حسونة، بتاريخ: ١٥/ ٤/ ١٩٩٩.
(٧١) الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٧٦٢.
(٧٢) حمودة، أحمد عبد الرحمن، وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص٦٨٨.
(٧٣) المصدر السابق، ص٦٨٨.
(٧٤) المصدر السابق، ص٦٨٨؛ ومقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(٧٥) الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٥٣٩.
(٧٦) حمودة، أحمد عبد الرحمن. مصدر سبق ذكره، ص٦٨٩؛ الدباغ، مصطفى مراد، مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص١٥٤.
(٧٧) المصدر السابق، ص٦٨٩؛ الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص١٥٤؛ مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: علي أبو العمرين، بتاريخ: ٣/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: محمد مقداد، بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(٧٨) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج٢، ق٢، ص٢٤٣.
(٧٩) حمودة، أحمد عبد الرحمن. مصدر سبق ذكره، ص٦٨٩.
(٨٠) المصدر السابق، ص٦٨٩؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(٨١) حمودة، أحمد عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ص٦٩٠.
(٨٢) المصدر السابق، ص٦٩١؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(٨٣) حمودة، أحمد عبد الرحمن، وآخرون. مصدر سبق ذكره، ص٦٩١؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(٨٤) عملية يوآف: ١٥ تشرين الأول، وحدات من ألوية "هنيغيف" (النقب) و"غفعاتي" و"يفتاح"، التابعة للجيش الإسرائيلي تسير في اتجاه المصريين لانتزاع بئر السبع واسدود والمجدل والشريط الساحلي حتى تدمير بعض القرى في تلال الخليل. الخالدي، وليد، مصدر سبق ذكره، ص٧٤٢.
(٨٥) المصدر السابق، ص٥٤٠.
(٨٦) المصدر السابق، ص٥٣٩-٥٤٠.
(٨٧) مقابلة مع: ليلى العبد الخواجة، بتاريخ: ٢٢/ ٥/ ١٩٩٩.
(٨٨) الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٥٤٠.
(٨٩) المصدر السابق، ص٧٨١-٧٨٢؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ، ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(٩٠) سكيك، إبراهيم. مصدر سبق ذكره، ج٦، ص٥٣.
(٩١) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٤٥.
(٩٢) الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٥٣٩.
(٩٣) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص٢٤٥.

(٩٤) عراف، شكري. القرى العربية الفلسطينية، مبنى واستعلامات أراضي، طبعة جمعية الدراسات العربية، ص١٦٨ .
(٩٥) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١ ، ق٢، ص٢٤٥ .
(٩٦) الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٥٣٧ .
(٩٧) *ذاكرة فلسطين*، من إصدارات المركز القومي للدراسات والتوثيق، ١١ يونيو، ١٩٩٨ .
(٩٨) مقابلة مع: محمد مقداد، بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(٩٩) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١ ، ق٢، ص٢٤٥ .
(١٠٠) سكيك، إبراهيم. مصدر سبق ذكره، ج٦ ، ص٥٣ .
(١٠١) أبو صفية، حسين. مصدر سبق ذكره، ص٥ ؛ ومقابلة مع رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ ؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩ ؛ ومقابلة مع: محمد مقداد: بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٠٢) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١ ، ق٢، ص٢٤٥ .
(١٠٣) أبو صفية، حسين، مصدر سبق ذكره، ص٦ ؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٠٤) أبو صفية، حسين، مصدر سبق ذكره، ص٦ ؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩ ، ومقابلة مع: محمد مقداد، بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٠٥) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٠٦) أبو صفية، حسين، مصدر سبق ذكره، ص٦ .
(١٠٧) الدباغ، مصطفى. مصدر سبق ذكره، ج١ ، ق٢، ص٢٤٦ .
(١٠٨) مقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩ ، ومقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ ؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ ، ومقابلة مع: اسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٠٩) مقابلة مع: اسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩ ، وأبو صفية، حسين، مصدر سبق ذكره، ص٦ .
(١١٠) سكيك ابراهيم، مصدر سبق ذكره، جزء٦ ، ط١ ، ١٩٨٢ ، ص٥٤ .
(١١١) أبو صفية، حسين، مصدر سبق ذكره، ص٦ .
(١١٢) الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٥٣٩ .
(١١٣) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ ؛ ومقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ ؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩ ؛ ومقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١١٤) أبو صفية، حسين، مصدر سبق ذكره، ص٤-٩ ؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ ؛ ومقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ ؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١١٥) الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٥٣٩ .
(١١٦) القصل: هو بقايا سيقان القمح والشعير ويستخدم في الوقود كحطب، ويستخدم في البناء بخلطة مع الطين.
(١١٧) مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩ ؛ ومقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١١٨) مقابلة مع: محمد مقداد، بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩ ؛ ومقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩ ؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١١٩) العلية هي المنطقة المرتفعة من البيت أو الطابق العلوي من البيت.
(١٢٠) مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩ ، ومقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٢١) أبو صفية، حسين. مصدر سبق ذكره، ص٨-٩ .
(١٢٢) سكيك، إبراهيم. مصدر سبق ذكره، ج٦ ، ص٥٣ .
(١٢٣) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١ ، ق٢، ص٢٤٦ .

(١٢٤) هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، ج٣، ق٢، ص٦٣ .
(١٢٥) الدباغ، مصطفى مراد، مصدر سبق ذكره، ج٣، ق٢، ص٢٤٦ .
(١٢٦) مقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩، ومقابلة مع: يوسف حسونة، بتاريخ: ١٥/ ٥/ ١٩٩٩ .
(١٢٧) الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٥٣٩ .
(١٢٨) حمودة، أحمد عبد الرحمن وآخرون. مصدر سبق ذكره، ط١، ١٩٩٠؛ ومقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٢٩) الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج١، ق٢، ص١٥٠ .
(١٣٠) المصدر السابق، ص١٥٠؛ ومقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٣١) هو مقام على تل مرتفع جنوب شرقي قرية الجورة، تكثر فيه أشجار الجميز والعنب والتين، وعلى مقربة منه جبانة وادي النمل. وذكر ابن بطوطة أن بناؤه كان بأمر من العبيد كان هو مكتوب على بابه، وأن المشهد كان به رأس الحسين بن علي رضي الله عنه، قبل أن ينقل إلى القاهرة. ويذكر مصطفى الدباغ، أن بانيه هو أمير الجيوش بدر الجمالي، وكمله ابنه الأفضل، من وزراء الخليفة الفاطمي، المستنصر بالله. وتذكر الموسوعة الفلسطينية أن المشهد بناه الخليفة المهدي العباسي سنة ٧٧١م، وبنى الفاطميون المقام في العام ١٠٦٧، وبقي الاهتمام بالمشهد حتى عام ١٩٤٨م، وقد رأى موشي ديان في المشهد رمزاً للسلام، فتم هدمه كله ومحو آثاره. انظر: حمودة، أحمد عبد الرحمن وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص٦٩٦ .
(١٣٢) حمودة، أحمد عبد الرحمن وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص٦٩٧؛ ومقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٣٣) أبو صفية، حسين. مصدر سبق ذكره، ص٥ .
(١٣٤) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٣٥) مقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٣٦) مقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٣٧) مقابلة مع: ليلى الخواجا، بتاريخ: ٢٢/ ٥/ ١٩٩٩ .
(١٣٨) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٣٩) حمودة، أحمد عبد الرحمن وآخرون. مصدر سبق ذكره، ص٦٩٦؛ ومقابلة مع: ليلى الخواجا، بتاريخ: ٢٢/ ٥/ ١٩٩٩ .
(١٤٠) الدماية هو رداء طويل يشبه الجلبية، ضيق من عند الصدر، ويتسع ابتداء من الخصر إلى القدمين، وهو مفتوح من أعلى إلى أسفل من الأمام يشبه الروب، ويربط أحد طرفيه في داخل الطرف الآخر، بقيطان ثم يرد الطرف الآخر على الجهة اليسار، ويربط ايضاً ويكون فوقه حزام من الجلد. شعث، محمد سليمان، العادات والتقاليد الفلسطينية، ص٢١٢ .
(١٤١) مقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٤٢) السروال أو الشروال: مصنوع من قماش قطني أبيض أو أسود، وهو واسع فضفاض وله رجلان ضيقتان، وله دكة من الخيط القوي، حيث يشدها الرجل، ليحزم بها اللباس حول وسطهن. شعث، محمد سليمان. مصدر سبق ذكره، ص٢١٢ .
١٤٣ الطربوش: غطاء رأس الرجل في المدينة، وهو مخروطي الشكل أحمر اللون. المصدر السابق، ص٢١٤ .
(١٤٤) حمودة، عبد الرحمن وآخرون. مصدر سبق ذكره، ص٦٩٦؛ ومقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٤٥) مقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
(١٤٦) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩ .

(١٤٧) مقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٤٨) مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٤٩) مقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٥٠) مقابلة مع: علي أبو العمرين، بتاريخ: ٣/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٥١) مقابلة مع: ليلى الخواجا، بتاريخ: ٢٢/ ٥/ ١٩٩٩.
(١٥٢) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٥٣) مقابلة مع: محمد مقداد، بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٥٤) مقابلة مع: يوسف حسونة، بتاريخ: ١٥/ ٥/ ١٩٩٩.
(١٥٥) الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٥٣٧.
(١٥٦) المصدر السابق، ص٥٣٩.
(١٥٧) هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، مركز الأبحاث، م.ت.ف، ج٢، ق٢، ط١، ص٩٥١.
(١٥٨) سرحان، نمر. *موسوعة الفلكور الفلسطيني*، الأردن: دار البيادر، ق٢، ط٢، ١٩٨٩، ص٢٧٤؛ ومقابلة مع: رمضان محمد شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩، وأبو صفية، حسين، مصدر سبق ذكره، ص٤.
(١٥٩) أبو صفية، حسين. مصدر سبق ذكره، ص٤؛ ومقابلة مع: يوسف حسونة، بتاريخ: ١٥/ ٥/ ١٩٩٩.
(١٦٠) أبو صفية، حسين. مصدر سبق ذكره، ص٥؛ ومقابلة مع: يوسف الدنف، بتاريخ: ١٤/ ٥/ ١٩٩٩.
(١٦١) الحزماوي، محمد ماجد. *ملكية الأراضي في فلسطين، ١٩١٨-١٩٤٨*، عكا: مؤسسة الأسوار، ١٩٩٨، ط١، ص١٤٧-١٥١.
(١٦٢) مقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: محمد أبو عودة، ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٦٣) مقابلة مع: محمد مقداد، بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: محمد أبو عودة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٦٤) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٦٥) مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٦٦) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٦٧) مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٦٨) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٦٩) مقابلة مع: محمد مقداد، بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٧٠) مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٧١) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٧٢) مقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع هبه محمد النمنم بتاريخ ٢٣/ ١١/ ٢٠٠١.
(١٧٣) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: محمد مقداد، بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٧٤) مقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: محمد مقداد، بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٧٥) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٧٦) المصدر السابق؛ ومقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٧٧) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٧٨) مقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: رمضان عبد الباري، بتاريخ: ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩.
(١٧٩) الملاطش: هي نوع من الشباك تستخدم لصيد سمك السردين، خاصة في فصل الشتاء وهي تطرح في البحر على بعد يتراوح ما بين ٥٠٠-٧٠٠متر عن الشاطئ، ويبلغ ارتفاعها بين ٤-٦ أمتار.
(١٨٠) شبكة اللوكس: وهي غزل من طبقة واحدة ذو ارتفاع يتراوح ما بين ٤-٥ متراً، وطولها غير محدود، ومثبت

أعلاها فلين وأسفلها قطع من الرصاص وتستخدم في أواخر شهر نيسان حتى أواخر شهر نوفمبر، وجاء اسمها من اللوكس وهي التسمية التي تطلق على مصباح الإنارة.

(١٨١) شبك الجرف: وهي نوعان إحداها صيفية ويبلغ طولها ٢٠ متراً وارتفاعها ما بين ٧-٩ أمتار، مصنوعة من خيطان قطنية وتستخدم على بعد ٥٠٠ متر من الشاطئ، وأما النوع الآخر الشتوي فيبلغ ١٥٠ متراً مثل الشبكة الصيفية ومن نفس الخيطان القطنية يصل عيون كلا النوعين ١٥ مليمتر من العقدة للعقدة.

١٨٢ الشرك، أو شرك الصنارة: ويستخدم في المياه العميقة وخاصة لصيد الأسماك الكبيرة الحجم، ويصل معظم ما يحمله القارب من هذه الصنانير ما بين ٨٠٠- ٣٠٠٠ صنارة. المبيض سليم عرفات. *الجغرافية الفلكورية للأمثال الشعبية الفلسطينية*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، بدون ذكر رقم الطبعة، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(١٨٣) مقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩.

(١٨٤) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إبراهيم القوقا، بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩؛ ومقابلة مع: إسماعيل أبو عودة، بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٩٩.

(١٨٥) مقابلة مع: رمضان شحادة، بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٩.

المصادر والمراجع والمقابلات

أولاً: المصادر

- الحموي، ياقوت بن عبد الله. معجم *البلدان*. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ط١، دون ذكر (ط+ن).
- النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل. *الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٨٦.

ثانياً المراجع

- أنيس، إبراهيم وآخرون. *المعجم الوسيط*. مصر: دار المعارف، ج٢، ط٢، ١٩٧٣.
- حمودة، أحمد عبد الرحمن وآخرون. *موسوعة المدن الفلسطينية*. دمشق: دار الأهالي، دائرة الثقافة، م.ت.ف، ط١، ١٩٩٠.
- حداد، يوسف. *المجتمع والتراث في فلسطين، قرية البصة*. بيروت: مركز الأبحاث، م.ت.ف، ط١، ١٩٩٠.
- حزماوي، محمد ماجد. *ملكية الأراضي في فلسطين*، ١٩١٨-١٩٤٨. عكا: مؤسسة الأسوار، ط١، ١٩٩٨.
- خمار، قسطنطين. *موسوعة فلسطين الجغرافية*. بيروت: منشورات اليسار، مركز الأبحاث م.ت.ف، ط٣، ١٩٨٨.
- الخالدي، وليد. *كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل، سنة ١٩٤٨م وأسماء شهدائها*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧.
- الخليلي، علي. *أغاني العمل والعمال في فلسطين*. بيروت: دائرة الإعلام والثقافة، م.ت.ف، ١٩٨٠.
- الدباغ، مصطفى مراد. *بلادنا فلسطين*. كفر قرع: دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١.
- *ذاكرة فلسطين*، من إصدارات المركز القومي للدراسات والتوثيق، ١٩٩٨.
- سرحان، نمر. *موسوعة الفلكلور الفلسطيني*. الأردن: دار البيادر، ط٢، ١٩٨٩.
- سكيك، إبراهيم خليل. *غزة عبر التاريخ*. غزة، ١٩٨٢.
- شعث، محمد سليمان. *العادات والتقاليد الفلسطينية*. بيروت: دار النمير، دون ذكر (ط+ن).
- حفيه، حسين حسن. *كتاب ملخص عن قرية حمامة*، كتاب غير منشور، غزة.
- مبيض، سليم عرفات. *الحصيدة في التراث الشعبي الفلسطيني*. الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون ذكر رقم الطبعة، ١٩٩٠.
- هيئة الموسوعة لفلسطينية. *الموسوعة الفلسطينية*. بيروت: مركز الأبحاث، م.ت.ف، ط١، ق٢، القسم الخاص، ١٩٩٠.
- هيئة الموسوعة الفلسطينية، *الموسوعة الفلسطينية*. دمشق، ط١، ق١، القسم العام، ١٩٨٤.

ثالثا: المقابلات الشفوية

- مقابلة مع: حسونة، يوسف محمود، بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٩٩٩.
- مقابلة مع: خواجا، ليلى العبد، بتاريخ ٢٢/ ٥/ ١٩٩٩.
- مقابلة مع: دنف، يوسف حسن، بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٩٩.
- مقابلة مع: شحادة، رمضان محمد، بتاريخ ٢/ ٣/ ١٩٩٩.
- مقابلة مع: عبد الباري، رمضان عبد الرحمن، بتاريخ ٢٥/ ٣/ ١٩٩٩.
- مقابلة مع: عمرين، علي محمود، بتاريخ: ٣/ ٣/ ١٩٩٩.

- مقابلة مع : عودة، إسماعيل، يونس، بتاريخ : ٤/ ٣/ ١٩٩٩ .
- مقابلة مع : عودة، محمد فؤاد، بتاريخ : ٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
- مقابلة مع : قوقا، إبراهيم العبد، بتاريخ : ٢٤/ ٣/ ١٩٩٩ .
- مقابلة مع : مقداد، محمد حمدان، بتاريخ : ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩ .
- مقابلة مع : هبه محمد النمنم، بتاريخ ٢٣/ ١١/ ٢٠٠١، مواليد ١٩٢٤ .
- مقابلة مع : العبد، أحمد طالب، بتاريخ : ١٣/ ٤/ ٢٠٠٠م. مواليد ١٩٢٤ .

ملحق الصور:

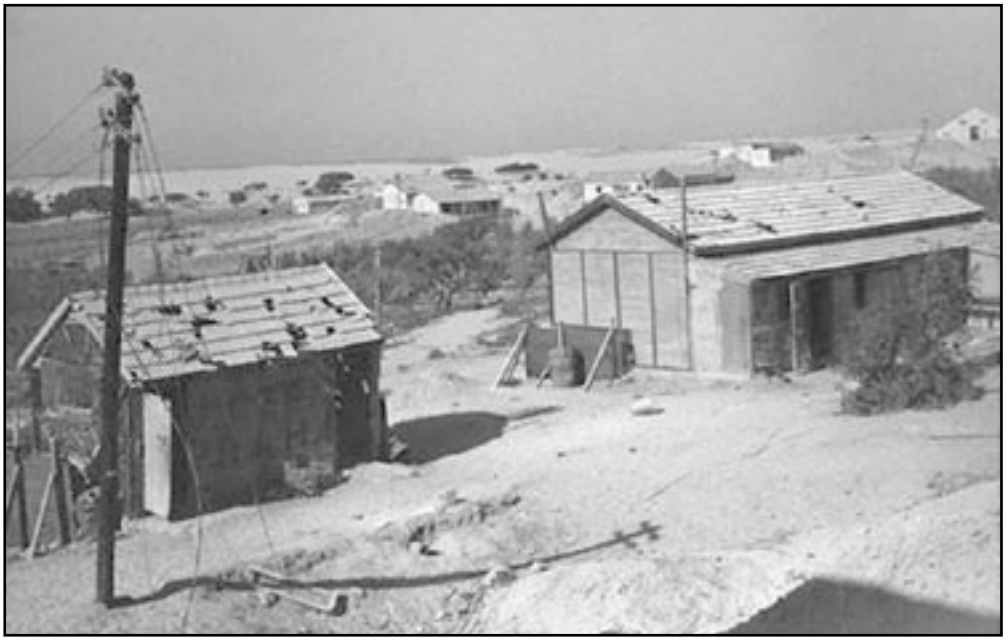

صورة التقطت في العام ١٩٤٨ لمستعمرة "نيتسانيم" التي أقيمت على أراضي قرية "حمامة" بعيد تهجير أهلها الأصليين. (المصدر: www.palestineremembered.com)

مشهد لقرية "حمامة" كما يبدو للناظر شرقاً من الطرف الشمالي الغربي. وقد جرّفت أنقاض المنازل المدمّرة وكدّست وكستها النباتات البرية، ١٩٩١. (المصدر: www.palestineremembered.com)

منظرين لبحيرة قرية حمامة، ٢٠٠٦.
(تصوير: أبيّ رضوان، المصدر: www.palestineremembered.com)

خارطة لقرى قضاء يافا
قضاء طولكرم
مكة
تيصير
كفرسابا
كفارسابا
حبلة
جلجوليا
مجدليل
كفارملال
عنانا
مرتيليا
ايجليل
هادار
بيارعدس
خربة خريش
برقونا
ابوكشك
قريات شاؤل
السوالمه
الشيخ مونس
الموليح
كفرقاسم
الملر
(المحمودية)
بجزيشه
مسعودية
بنجبراق
بتاح تكفا
مجدل يابا
رامات غان
مسادونا
تل ابيب
يافا
تل الشيخ كبير
سلمه
الزبوعة
رنتيه
الخيرية
العباسية
مكفة اسرائيل
ساقية
يازور
كفرعانه
ويلهلما
الطيرة
بيت يام
بيت دجن
حولون
السافرية
قضاء الرملة
ريشون ليزيون
اللد

الورقة البحثية الثالثة

قرية أبو كشك

أنوار مرعي*

المقدمة

أدى قيام دولة اسرائيل في العام ١٩٤٨ الى تهجير ٥٣١ مدينة وقرية، يشكل سكانها ٨٥ ٪ من أهالي الأرض التي قامت عليها إسرائيل، وساوت أرضهم نحو ٩٢ ٪ من مساحتها.وقد تعرض قضاء يافا لحملة تهويد كبيرة كغيره من أقضية فلسطين الأخرى في العام ١٩٤٨، وعانا أهلها معاناة شديدة من جراء عملية التهجير لهم وهدم قراهم بشكل سافر، حبث تم تهجير ٢٩ قرية في القضاء هي جريشة، فوتيس، اجليل الشمالية والقبلية، بيار عدس، بيت دجن، الحرم "سيدنا علي"، خربة خريشة، العباسية "اليهودية"، الجماسين الغربي، الجماسين الشرقي، ساقية سلمة، الشيخ مؤنس، رنتية، السافرية، عرب السوالمة، كفر سابا، كفر عانا، المسعودية، خربة الغباشية، عرب أبو كشك، خربة الشيخ محمد، سارونه، طيرة دندن، المحمودية، والمويلح.

في هذا البحث، سيتم تسليط الضوء على عرب أبو كشك كواحدة من ٥٣١ قرية تعرض أهلها للشتات والتهجير القسري. وذلك من خلال اعتماد منهجية مشتركة بين المنهج التاريخي والوصفي والتاريخي الشفوي من خلال المقابلة الشفوية ووصف الواقع. والسؤال الرئيسي في هذه الدراسة التي سنحاول الإجابة عنه هو كيف تم تهجير أهالي قرية أبو كشك من أراضيهم؟ ولماذا؟ كما سنعرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في هذه المنطقة الصغيرة من فلسطين.

تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال تكاملها مع غيرها من الدراسات الاخرى حول هذا الموضوع وذلك لحفظها في ذاكرة أبناء فلسطين فلا تذهب طي النسيان كما يخطط لذلك الصهاينة وهي كذلك تكشف عن فظاعة الممارسات الصهيونية التي مارسوها بحق الشعب الفلسطيني وهي بذلك تدعم الدراسات الأخرى في توثيق حق هذا الشعب "الفلسطيني" في أرضه وممتلكاته.

* **أنوار مرعي**: الحائزة على المرتبة الثالثة في جائزة العودة في حقل التاريخ الشفوي للعام ٢٠٠٨ عن بحثها "قرية أبو كشك". تسكن حالياً في قرية صيدا-طولكرم، وتعمل كمدرسة لمادة الجغرافيا.

وتتداخل هذه الأهداف وتتكامل مع أهميتها وأسبابها فهي تهدف إلى حفظ الذاكرة الفلسطينية من الضياع وترسيخها في الأجيال القادمة، وإظهار المعاناة التي تعرض لها أبناء شعبنا في كافة المجالات؟ وبيان كيف تم تهجير الأهالي؟ والكشف عن الأطماع الاستعمارية الصهيونية التي جاءت لتقيم دولتها على حساب أرض فلسطين، بالاضافة الى التعريف بواحدة من القرى المدمرة عام ١٩٤٨ م كغاية في حد ذاتها لاستكمال المجهود حولها.

وتأتي أهمية هذا البحث، خصوصا بسبب قلة عدد الباحثين الذين تناولوا البحث في القرى المدمرة بخصوصية وتفصيل، والواجب الوطني والنضالي الذي يشعر كل فرد فلسطيني تجاه أرضه وشعبه، ولدعم إخواننا اللاجئين بالتمسك بأرضهم والمحافظة على تراثهم. كما تأتي أهميته، لأنه محاولة متواضعة لتوجيه الرأي العام وتبصيرهم بالحقيقة وتفنيد الأكاذيب الصهيونية، ولبيان المعاناة لأهالي هذه القرى وكيفية خروجهم من أراضيهم وقراهم قسراً وعنوة.

بيد ان البحث قد واجه العديد من التحديات أبرزها وفاة معظم كبار السن، أو نسيانهم لمعظم الأحداث والسنوات المهمة وجهلهم بالتفاصيل السياسية، أو خوفهم من الحديث عنها، وندرة المراجع المتعلقة بهذا الموضوع، ونزوح كبير من أهالي القرية الى الشتات، أو توزعهم في أماكن متفرقة يصعب الوصول اليها.

الفصل الأول: جغرافية القرية

أصل التسمية

تقول الرواية الشعبية: "إن أبو كشك أو عرب أبو كشك، قرية بدوية كما يسميها البعض من سكانها، ويعترض البعض الآخر على اعتبارها قرية. ويعنوا بذلك، أن السكان لم يكونوا قرويين، وإنما هم قبلية بدوية تنتسب إلى زعيمٍ بدوي يدعى "أبو كشك". وهو شاب يافع وفارس شجاع، قدم من مصر بأربعين مسلحاً، كانوا يشكلون طاقم الحرس للأمير يعقوب الحارثي وعشيرته. ذلك الأمير الذي كان يقطن في أراضي تقع على نهر العوجا الواقع في وادي الحوارث. لم يكن التحاق أبو كشك بحرس الأمير الحارثي من قبيل الصدفة، أو من أجل الارتزاق وكسب العيش. فقد كان قد سمع عن بنات الأمير وما يتصفن به من جمال أخاذ ونسب عريق. فكان طموحه يمتد إلى الانتساب لعائلة الأمير والزواج بإحدى بناته".[١]

أما عرب أبو كشك، "فهم مصريون كانت منازلهم في جنوبي فلسطين، والأرجح أنهم نزلوا جهات يافا في أيام حكم إبراهيم باشا المصري لبلاد الشام. وبعضهم ذكر أن هذه القبيلة تعود بنسبها إلى قبيلة "حرب"، حيث نزل العديد من البدو مع عرب أبو كشك إلى يافا، ومنهم "الملالحه" و"السواركة" و"الشوابكة" – من شرقي الأردن – و"القرعان" من جنوبي فلسطين، و"الترابنة" من ترابين بئر السبع، و"الجرامنة" وهم من "طيئ".[٢]

الفرق بين أبو كشك وعرب أبو كشك

يقول بعض أفراد عشيرة أبو كشك: "أن العشيرة رحلت من الجزيرة العربية إلى مصر ثم إلى فلسطين، حيث نزلت في غزة لمدة قصيرة، ثم استقرت في منطقة سُميت فيما بعد بقرية عرب أبو كشك". وتأكيدا لنزولهم باديء الأمر في غزة، يقولون: "انه توجد في غزة منطقة تُسمى عرب أبو كشك حتى يومنا هذا". أما البعض الآخر فيقول أن العشيرة، "قد قدمت من مصر إلى فلسطين، ولم يتم التطرق الى ذكر الجزيرة العربية، فيما يضيف آخرون أن عشيرة أبو كشك قديمة، ويعود تاريخها إلى زمن الفتوحات الاسلامية. وكان أول من أسس ديوان العشيرة هو محمد الفارس. وكل من كان يأتي لزيارة العشيرة، يحل ضيفا في الديوان. وفي بادئ الأمر كانت الدواوين عبارة عن بيوت شعر، وفي الثلاثينات تطورت وأصبحت تبنى من الحجر".[٣] وأبو كشك هي الحمولة الرئيسية التي اقتصرت عليها عشيرة أبو كشك، وكانت بيوتهم مبنية من الحجر، تقع في منتصف القرية، وكانت مبتعدة عن بعضها.

أما عرب أبو كشك: فهم عرب آخرون، سكنوا في منطقتهم، ونسبوا هؤلاء العرب إلى عرب أبو كشك ومنهم الحمايصة والملالعة والعرايشة ودار أبو لبدة والعجارمة والظهورة والزواتين

والقرعان والخطاطرة. وكانوا هؤلاء العربان كما صرح بذلك الراوي ماجد: "يقيمون في ضواحي القرية ونواحيها، ويزرعون الأرض لزعامات أبو كشك، ويفلحوها، وكانت عشيرة أبو كشك تضم الكثير من العبيد، الذين كانوا يسكنون شرق القرية، وهم أقرب إلى السمار لخدمة أفراد العشيرة البدوية. وفي الأعراس كانت العبدات تقوم بالغناء، حيث لم يسمح لنساء عشيرة أبو كشك بالغناء أو العمل أو الخروج إلا للحاجة الضرورية. وكان للعربان ما يميزهم من حيث زيهم البدوي وبيوتهم من الشعر، أما أبو كشك فقد تأثروا بالمدينة من حيث اللباس والبيوت الحجر والتعليم وغيرها. فقرية عرب أبو كشك أكثر شمولا، فهي تشمل حمولة أبو كشك والعرب الذين سكنوا القرية، وقامت بينهم علاقات مختلفة ".[٤]

الموقـع

تقع على مسيرة ٢١ كم شمال شرقي يافا.[٥] أقام سكانها على مجرى نهر العوجا، وهي تتصل بدروب غير ممهدة مع عرب السوالمة، ومع الشيخ مونس وعرب المحمودية. وكانت في الأصل مضارب لعرب أبو كشك ثم تحولت إلى بيوت ثابتة. وهي تقع على أحد روافد نهر العوجا، وعلى بُعد حوالي كيلومترين من مجرى النهر الأصلي.[٦] لهم أراض مساحتها ١٨٤٧٠ دونماً، (١٧١٢١ دونما أراض عربية، و ٩٠١ دونمات يهودية، و ٤٤٨ دونما اراضي مشاع)، ومنها ٣٩٨ للطرق والوديان وغيرها.[٧] وبلغت مساحة الأراضي المزروعة من أراضي أبو كشك ١٧٦١٥ دونما في العام ١٩٤٤–١٩٤٥ (نحو ٩٥ ٪)، بما في ذلك غرس البرتقال في ٢٩٢٤ دونماً، منها ٤٣٧ لليهود. وتُحيط بهذه الأراضي، أراضي عرب السوالمة وجلجوليا وبيار عدس والمستعمرات اليهودية. وترتفع القرية عن سطح البحر حوالي ٥٠ مترا.[٨] وبلغ عدد السكان في قرية أبو كشك في العام ١٩٣١، ١٠٠٧ نسمة، وارتفع العدد في العام ١٩٤٤–١٩٤٥ الى نحو ١٩٠٠ نسمة.[٩]

تضاريس القرية

كانت القرية تقع في رقعة مستوية من الأرض في السهل الساحلي الأوسط، وعلى بعد كيلو مترين إلى الشمال الغربي من نهر العوجا. وكانت طريق فرعية تصلها بطريق يافا– حيفا العام، كما كان هنالك طريق فرعية أخرى تصلها بالقرى المجاورة. استخدم الموقع أولاً عرب أبو كشك من البدو، إذ كانوا يضربون خيامهم الموسمية فيه، ثم تطور فأصبح قرية. وكانت منازل أبو كشك، التي لم يتخذ شكل انتشارها نمطاً مخصوصاً تتكتل في مجموعات صغيرة، وكان سكانها في معظمهم من المسلمين.[١٠]

كما يوجد في القرية بعض التلال أهمها: تل الطويلة وتل أبو صرة – وهو تل عال يشرف على جميع المناطق– وتل حسن الصالح. فيما كانت باقي الأرض سهلية حيث يقسم نهر العوجا أراضي أبو كشك إلى قسمين: أراضي حمراء تقع جنوب النهر وأراضي رملية شماله.[١١]

نهر العوجا

العوجا هي تأنيث الأعوج. وهو اسم لعدة مواضع في مختلف أقطار الوطن العربي. ونهر العوجاء هذا، ويعرف أيضاً باسم نهر يافا، ينبع من "رأس العين" على مسيرة عشرين كيلومتراً للشمال الشرقي من يافا. وهو ثاني أنهار فلسطين من ناحية الطول، إذ يبلغ طوله ٢٦ كم. ويبلغ مقدار تفريغه ٨,٥ متراً مكعباً في الثانية. يصب هذا النهر في شمالي يافا، وعلى بعد نحو ستة كيلومترات منها. وتسير في العوجاء الزوارق البخارية بين قرية جرّيشة متنزه أهل يافا، وبين مصبه. وفي العام ١٩٣٥، تمّ جر مياه ينابيع العوجا إلى القدس، بواسطة أنابيب مُدّت تحت سطح الأرض لمسافة ستين كيلومتراً. وقد بلغت نفقات هذا المشروع نحو ٣٦٠ ألف جنيه فلسطيني.[١٢] وعند مصب النهر تقع محطة "ريدنغ" لتوليد الكهرباء وتزويد تل أبيب ويافا بالقوة الكهربائية. وتنتهي في العوجاء مياه الأمطار التي يحملها: أولا– وادي قانا، الذي يبدأ على مسيرة ستة أميال للجنوب من نابلس ماراً بالقرب من قرى "دير إسْتِيا" و "سِنَّيْريَة" و "جَلْجُوليا" وغيرها. وثانيا– وادي جَريْوت، الآتي من قرية "بيتونيا" من أعمال رام الله، ويمر بقرى "المِدْيه" و"الحَديثَة" و "كفرعَانة" و "سَاقِيَة" و "الخَيْريَّة" و"الجماسين" وينتهي في العوجَاء قبالة قريةَ "الشيخ مُوَنَّس". ومن القبائل المستقرة على أطراف نهر العوجاء "عرب المويَلِح" و "أبو كِشْك" و "السوالمة". وبعد النكبة، قام اليهود بجر مياه هذا النهر بواسطة أنابيب ضخمة إلى شمالي قضاء بئر السبع والناحية المجاورة له. وقد احتفل بافتتاحه في صيف عام ١٩٥٥، وكلف هذا المشروع نحو ٤٥ مليون دولار، كانت حصة أمريكا منها ٤٠ مليون دولار والمنطقة التي ترويها هذا المياه واسعة تصلح للزراعة والسكن. كان الكنعانيون يسمون نهر العوجاء باسم "مياه اليَرْقون" بمعنى "المياه الصَفْرَة"، وعنهم أخذ اليهود هذا الاسم. ولعل هذه التسمية تعود إلى التربة الصفراء التي كانت تجرفها مياهه أثناء جريانها فتصبغها باللون المذكور. ودعاه الرومان باسم "Me Piqa" والعرب باسم "نهر أبي فُطْرُس" بضم الفاء وسكون الطاء وضم الراء وسين مهملة. تحريف لكلمة "أنتيباتريس"، المدينة التي بناها "هيرودوس" الآدومي عند منابعة. وخرائبها تعرف اليوم باسم "قلعة رأس العين".[١٣]

الفصل الثاني: تاريخ قرية أبو كشك

العهد العثماني

استخدم الموقع أولا عرب أبو كشك من البدو، الذين كانوا يضربون خيامهم الموسمية فيه، ثم تطور فأصبح قرية أطلق عليه اسم أبو كشك. وقد حاول الأتراك تجنيد أفراد عشيرة أبو كشك في سلك العسكرية، وكانت هذه المحاولات تقابل بالرفض من زعماء العشيرة، وكثيرا ما حاول الأتراك تطوير القرية البدوية وتحويلها إلى قرية أو مدينة، ولكنها باءت بالفشل أمام إصرار أفراد العشيرة بالحفاظ على الطابع البدوي.[١٤]

قال احد أبناء العشيرة:

> انه أثناء الحرب العالمية الأولى، كان يتزعم عشيرة أبو كشك، الشيخ محمد الفارس، الذي جمع أفراد العشيرة وهاجر الى قرية ام خالد (حيث تقع مدينة نتانيا حاليا). وقد توفي محمد الفارس ودفُن في قرية ام خالد. بعد مراسيم الدفن مباشرة ومن على ارض المقبرة، ورغم معارضة بعض شيوخ العشيرة، تمت مبايعة الشيخ شاكر ابو كشك، الذي كان يحظى بقسط من التعليم، ليخلف والده في زعامة العشيرة، وكان يبلغ من العمر انذاك سبعة عشر عاما. بعد مضي ما يقارب العام، وبعد هزيمة الاتراك، قرر الشيخ شاكر العودة بعشيرته إلى مكان سكناهم الأصلي، وقد بذل الشيخ شاكر وافراد العشيرة جهدا كبيرا في إعادة بناء ما هُدم من بيوتهم واصلاح ما اتلف من مزارعهم.[١٥]

ثورة عام ١٩٢١

كان لعرب ابو كشك دورا كبيرا في الثورات الفلسطينية وخاصة ثورة عام ١٩٢١. فقام المرحوم الشيخ شاكر أبو كشك الذي لم يتجاوز عمره في تلك الفترة ١٧ عاما بدعوة شباب العشيرة إلى الاجتماع في الديوان، وكان موضوع الاجتماع قيام سلطات الانتداب البريطاني بزيادة أعداد اليهود في مدينة ملبس التي تقع إلى الجنوب من القرية، وقيام اليهود بإستفزاز أبناء العائلة والتوسع على حساب الأراضي العربية، واستغلال مياه نهر العوجا. وقام شباب العشيرة بقيادة الشيخ شاكر بالهجوم على مستوطنة بيتح تكفا قرب "ملبس"، ودارت معركة شرسة بين الطرفين، وقد كان لمشاركة عدد من سكان نابلس والشمال أثره الهام في إيقاع الإصابات في الجانب الآخر، (وتوجد لغاية الآن مقبرة لقتلى اليهود في تلك المعركة مقامة على الجانب الشرقي الشمالي للمستوطنة). وتحرك الجيش البريطاني المتمركز في رأس العين لملاحقة شباب العشيرة، فتصدوا لهم على ضفاف نهر العوجا، فقام البريطانيون بعملية التفاف عن طريق طواحين "أبو رباح" من أجل محاصرة القرية، حيث دخلها وقام

سكانها بالهرب. ولم يبق فيها إلا الشيخ شاكر فقيدوه بالسلاسل وجمعوا أثاث البيت وأشعلوا به النيران، بعد أن أجلسوا الشيخ شاكر عنوة وسط ذلك، وعندما لم يصب بأذى بقدرة الله عز وجل نقلوه في مصفحة عسكرية إلى مدينة يافا، ومن ثم إلى سجن المسكوبية في القدس حيث أصبح يمثل المعتقلين في السجن أمام سلطات الانتداب. وقد صدر عليه حكم بالإعدام ثم خفض إلى المؤبد وكان لموقف عشائر مدينة بئر السبع أثره الهام في الإفراج عن الشيخ شاكر. ويقول الدكتور نمر سرحان في وثائقه، أن الشيخ شاكر أبو كشك اختفى عن المسرح بعد ثورة ١٩٢١، وإن كان قد ساند ثورة ١٩٣٦– ١٩٣٩ فيما بعد. ويبدو أن الصدمة التي أصابت الشيخ شاكر تركت أثرها لزمن أطول، ولكنه عندما هاجر عام ١٩٤٨ إلى طولكرم أثبت أنه لا يساوم على موقفه. ويضيف الدكتور نمر سرحان: "لقد دبر الشيخ شاكر أبو كشك مع أهل الساحل والجبل أمر غزوة بيتح تكفا المستوطنة اليهودية التي ترمز لسلب الأرض العربية والإستيلاء على البلاد، وأن توجيه الغزوة لأكبر وأول مستوطنة صهيونية في البلاد أكد على الدافع العربي وهو منع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وشارك في الغزوة عدد كبير من الناس من أهالي نابلس ومن عزون ومن الخرب المحيطة بها فضلا عن عرب أبو كشك وأحلافهم من البدو على طريقة الجردة (الحملة العسكرية الشعبية)". ويضيف سرحان أن الشيخ شاكر أبو كشك قائد هبة عام ١٩٢١ يستحق بجدارة لقب "من فتح باب التوجه الثوري في فلسطين"، وأن الشيخ شاكر، "انطلق من أيديولوجية رفض البدوي للضيم والظلم والاستجابة للنخوة العربية التي أهانها استيلاء اليهود على أرض العرب".[١٦] ويروي الحاج ماجد: "إن الشيخ شاكر أبو كشك هو الذي أطلق الرصاصة الأولى لثورة ١٩٢١، وكان له الدور الكبير في الهجوم على مستعمرة ملبس وحرقها".[١٧]

كان السبب في هذه الثورة قيام العمال اليهود الشيوعيون يوم الأول من أيار من عام ١٩٢١، وهو يوم عيد العمال المعروف في أوروبا، بمظاهرة كبيرة في تل أبيب. وقد حصل اصطدام بينهم وبين الموبس (حزب العمال الاشتراكي الصهيوني المتطرف) الذين قاموا أيضا بمظاهرة أخرى محاولين فيها جعل كافة العمال اليهود يعطلون في هذا اليوم. ولمّا فرقهم رجال الشرطة واصل بعضهم السير نحو حي المنشية، فاصطدموا بالعرب الذين ظنوا ان المظاهرة مقصودة، وجهت إليهم ودار قتال بين الفريقين اتصلت أخباره بمدينة يافا، فدار قتال في شوارعها بين العرب واليهود، وأقفلت المدينة كلها وعمّ النهب فيها. وهجم العرب على دائرة المهاجرة الكائنة بالقرب من المستشفى الفرنساوي في أول حي العجمي، وكانت تستعمل ملجأ للمهاجرين اليهود القادمين حديثا، حيث يعتني بهما إلى أن توجد لهم الجمعية الصهيونية عملا في المستعمرات اليهودية. ثم أخذت الاضطرابات تتسع يوما فيوما حتى عمت قضاء يافا بأجمعه وحصل هجوم من العرب على المستعمرات اليهودية: ملبس، الخضيرة، ديران، وتل حي. وشكى مستطنو مستعمرة ملبس انه تم نهب ٤٠٠ راس من ماشيتهم أثناء الهجوم، وادعوا إنها موجودة في (البيت الأبيض) مقر الشيخ شاكر أبي كشك شيخ عربان العوجا. فأرسل الجنرال بايرون قوما ندان القوات العسكرية بيافا إنذارا إلى

الشيخ بتسليم نفسه وأسلحة قبيلته في مدة ساعتين وإلا اضطر إلى تدمير بيوت القبيلة كلها بقنابل المدرعات الحربية التي كانت راسية في الميناء يومئذ. فسلم الشيخ نفسه، أما أسلحة قبيلته فلم يرض بتسليمها فأحرقت السلطة بيته بما فيه من الأثاث الثمينة والأدوات التذكارية القديمة، وحوكم الشيخ أمام محكمة عسكرية فحكمت عليه بالسجن ١٥ سنة ثم خفض الحكم إلى عشر سنوات قضى منها الشيخ سنتين في السجن، ثم أفرجت الحكومة عنه بتدخل رجالات فلسطين ومشايخ عربان بئر السبع.[١٨]

بعد أن دفع ٢٠٠٠ جنيه غرامة لمستعمرة ملبس. وفرضت السلطة غرامة ٦٠٠٠ جنيه على كل من قلقيلية وطولكرم وقاقون ووادي الحوارث وكفر سابا وعرب أبي كشك فكان نصيب الأخيرين منها ٧٠٠ جنيه. وقد دامت الاضطرابات مدة خمسة عشر يوما أسفرت عن ٩٥ قتيلا، ٤٨ من العرب و٤٧ من اليهود، و٢١٩ جريحا، ٧٣ من العرب و١٤٦ من اليهود. ومن الجرحى من عطلت أجسامهم بحامض محرق، عدا عن كثيرين من الجرحى كانت جراحهم اقل خطرا وعولجوا في المستوصفات المختلفة وخارج المستشفيات. والفت الحكومة حالا لجنة للتحقيق عن أسباب الاضطرابات برئاسة السير توماس هيكرافت قاضي قضاة فلسطين، فذهبت هذه الجنة إلى يافا وقامت بتحقيق دقيق وضعت في ختامه تقريرا مفصلا، جاء فيه: "أما في قضية "ملبس" فمن الواضح أن قبيلة عرب أبو كشك هي المسؤولة ولا يمكن الصفح والتجاوز عن تصرف العرب".[١٩]

وتروي الحاجة إحسان:

> كان أبوي يستعد لعرسه ويجهز له، فكان الأثاث جديد والدار فيها كثير من التحف والأشياء الثمينة. فجمعوا [البريطانيون] كل الأثاث في حوش الدار حتى يحرقوها، وكان أبوي قاعد على كرسي وحاطط اجر على اجر وما اهتز ولا خاف ثم أخذوه على السجن وحكموا عليه ١٥ سنة وبعدين انحبس سنتين وغرامة مالية. بس ما كان مع المساجين كان لحاله يودولوه أحسن طعام وأحسن ثياب وجرايد كل يوم.[٢٠]

ويضيف الحاج ماجد:

> إن مشايخ بير السبع لما عزمهم المندوب السامي لعرس ابنه، وكانوا في الوليمة رفضوا الأكل أو الشرب حسب عاداتهم حتى يلبي لهم طلباتهم. فقال لهم المندوب شو طلبكم؟ وما كان يعرف، فقالوا له انه يفرج عن الشيخ شاكر وهيك خفض حكمه الى سنتين ودفع غرامة مالية.[٢١]

ومنذ تلك الواقعة، اعتزل عرب أبو كشك الخوض في السياسة لأنهم خسروا كثيرا في تلك

المعركة، فبعد حرق منازلهم كانوا يناموا تحت الشجر ثم جددت بيوت القرية مرة أخرى بعد سنة ١٩٢١,[٢٢]

ثورة عام ١٩٣٦

حاول عربان أبو كشك وغيرهم من أبناء فلسطين الالتفاف مرة أخرى في العام ١٩٣٦ حول الشيخ شاكر ليقودهم في معركة أخرى ضد البريطانيين والصهاينة، ولكن الشيخ شاكر رفض حيث كان قد فقد حماسه السابق وقال: "كل جنس العرب كذاب ما بآمنش فيكم".[٢٣] وعلى الرغم من ذلك، فقد تميّز الشيخ شاكر بجرأته ورفضه لأي من مطالب تطلب منه من قبل يهود المستوطنات المجاورة، وكانت القرية بمثابة ملجأ لثوار ثورة عام ١٩٣٦، حيث كانوا كثيرا ما يلجأون إلى القرية بعد قيامهم بعمليات ضد البريطانيين واعتصامهم في جبال كفر صور.[٢٤]

ويروي أحد الرواة:

> كانوا إذا اجو الثوار، كانوا قايمين بعملية ومروا من ارض أبو كشك يضيفوهم ويطعموهم ويحترموهم. اجو كثير ناس، كانوا يهربوا من الإنكليز ويلجأوا لدار أبو كشك. كان واحد من جيوس اسمه أبو عباس، كان مرة قاعد في الديوان، وفي واحد أرمني اسمه خاشو، كانوا هاربين من الإنكليز، "مطلوبين"، وأجت دورية إنكليزية. وفي واحد من دار هلال من قلقيلية كان متخبي عند دار أبو كشك كان اسمه أبو ربحي وهربوهم وخبوهم في بيت العريشيه ودبوا الفراش عليهم.[٢٥]

وقام المستوطنون اليهود بإحراق حقول القمح التابعة للعشيرة في الليل ورفض الشيخ جبر أبو كشك قاضي العائلة خروج أي إنسان لإطفاء الحريق خوفا من المناورات الخبيثة لليهود وعملهم الكمائن لقتل العرب. وفي اليوم التالي قام عدد من أفراد العائلة بحرق مضخات المياه ومخازن اليهود وقام اليهود بقتل اثنين من العرب، وعملت العائلة على مقاطعة البضائع اليهودية والعمل لديهم.

ثم حيث قام البريطانيون بإعدام رشيد ورفيق أبو كشك بسبب اشتراكهم بالثورة، كما قامت بريطانيا باعتقال درويش أبو كشك بسبب اشتراكه بالثورة وحكم عليه بالسجن لمدة ١٢ عاما. وكان القائد رشيد عبد الباقي على علاقة مع عشيرة أبو كشك حيث طلب من الشيخ شاكر أبو كشك مساعدة الثوار وتقديم العون لهم فقدم آل أبو كشك المال والسلاح والملابس للثوار وشكل فصيلا من أهل القرية للمشاركة في الثورة.[٢٦]

كان من الذين شاركوا في ثورة ١٩٣٦ مع الثوار من عرب أبو كشك سعيد أبو كشك ولم يستطع البريطانيون الإمساك به، وظل هاربا منهم. كما برز من بين المناضلين محمد سيف الدين، والشيخ شريف الذي كان مسؤولا عن شراء الأسلحة للثوار، وسمي أبو فردين.[٢٧]

نكبة ١٩٤٨

بعد ثورة عام ١٩٣٦، وحتى عام ١٩٤٧ كانت علاقة عرب أبو كشك مع البريطانيين واليهود علاقة حسن جوار، ولم تسجل حالات صدام أو اشتباك. ولكن مع اعلان قرار التقسيم، حضر يهود مستوطنة ملبس ومجموعة من الشيوعيين، وعرضوا على زعماء أبو كشك الصلح، رفض الشيخ شاكر وبدأت المناوشات بينهم في أوائل عام ١٩٤٨. ويتحدث احدهم عن أبيه:

> أبوي مرة كان في جماعة القرعان مآخذين حوالي ١٢ راس بقر يبيعوهم لليهود: لوين مآخذينهم هذول يا شباب؟ قال: والله بدنا نبيعهم لليهود. فرده على جنبه مسك هالفرد، طاخ طاخ، قتل كل البقرات على أساس ما يبيعوهم لليهود، على أثرها صارت المناوشات.[٢٨]

ولكن نكبة فلسطين قد أصابت قضاء يافا في الصميم كما أصابت غيرها من أقضية فلسطين، وأصاب عرب أبو كشك ما أصاب يافا خاصة وفلسطين عامة. فقد غادر يافا أكثر من ٩٠ ٪ من سكانها تاركين بيوتهم ومحلاتهم التجارية ومصانعهم وأراضيهم.[٢٩]

أما بالنسبة الى قرية أبو كشك، فقد كان موقع القرية حساسا، حيث كانت محاطة بمستعمرات من أربع جهات. ففي الجهة الجنوبية، كانت تقع مستوطنة "بيتح تيكفا"، ومن الجهة الغربية كانت مستعمرة "هرتسليا"، وفي الشمال كانت مستعمرة "رعنانا"، ومن الشرق مستوطنة "رماتايم". وقد اشترك عرب أبو كشك في المعارك مع اليهود، فعند هجوم يهود مستعمرة "هرتسليا" على قرية الجماسين، تحرك المسلحون من أبناء عرب أبو كشك لنجدتهم وقتل في المعركة خمسة من أبناء الشوبكه وهم تابعون لعرب أبو كشك. وكان شباب القرية يذهبون للدفاع عن أهالي القرى العربية الأخرى التي تتعرض للهجوم. ولم يحدث أي هجوم مباشر على القرية قبل الرحيل، بل رحلوا خوفا مما قد يحدث، وكان الشيخ شاكر معارض للرحيل.[٣٠]

وتقول الراوية إحسان:

> الناس قالوا بدنا نهاجر وبكره ابتيجي الدول العربية وبنرجع على البلاد حتى أثاث ما أخذناه.[٣١]

عند الرحيل، حدثت معارك مع يهود المستوطنات خارج القرية واشترك بها أفراد من عرب

أبو كشك واستشهد فيها فريد أبو هويدي وعارف أبو هويدي وذيب بستان وموسى أبو عويضه وموسى أبو مساعد ومحمود أبو حطب. وهؤلاء استشهدوا أثناء معارك حدثت على حدود راس العين والجرامنة. ومن شباب الحمولة الذين استبسلوا في الهجوم والدفاع عن القرية خلال الستة اشهر الأولى من عام ١٩٤٨ كان حسين أبو مندور وفريد أبو هويدي، كما استشهد عارف أبو هويدي وفؤاد أبو كشك استشهدا.[٣٢]

يقول أرييل شارون:

> كان علينا أن نسير في استمرار دوريات في بساتين البرتقال وفي الحقول، لا سيما في الليل، لمناوشة العصابات العربية التي بدأت تزرع الرعب في المنطقة. العملية الأولى التي شاركت فيها فعلا حدثت في خريف تلك السنة نفسها. كانت استخبارات الهاغانا تشك في أن احد أبناء مشايخ البدو في القطاع، واسمه أبو كشك، يتعامل مع تلك العصابات. وكانت النية تأديبه على سبيل التحذير. كان علينا إذن أن نصادر سياراته "الناش" الحمراء البديعة التي كان يحلو له أن يتبختر فيها في الجوار. وإذ كنت اعرف عاداته كنت مع زمرتي في مكان مناسب على طريق ضيعة تجتاز احد بساتين الحمضيات. وعندما أعلمنا احد كشافتنا بقدوم السيارة، وضعنا في عرض الطريق إحدى الطاولات الطويلة التي توضب الحمضيات فوقها. وبعد برهة توقفت السيارة محدثة صرير فرامل قويا. نزل منها ابن الشيخ في سرعة وأطلق ساقيه للريح. قفزت إلى السيارة ليتبين لي فورا أن الهارب كان ذا حضور ذهني على رغم استعجاله (وخوفه) فحمل معه المفاتيح. انطلقت أعدو في أثره بين البساتين. كنت اعرفها عن كثب. وفي تلك الأثناء كنت سريع العدو. لكن ابن أبو كشك كان ذلك اليوم، وللأسف، أسرع مني. طاردته هكذا مسافة كيلو متر إلى اثنين قبل أن أيأس وأعود إلى السيارة. وكانت دوريات إنكليزية تسير في المنطقة، ولذا كان علينا أن نخبئ السيارة في هري قرية مجاورة. ومن حسن حظنا أن احد رجالنا - وكنا عشرة - كان يعرف شيئا من الميكانيك، فيما الآخرون كانوا خبراء في أحصنة الجر وفي العجلات. كنا نشعر أن الزمن بطيء كالسلحفاة، لكن المحرك انتهى به الأمر أخيرا إلى الهدير المتقطع، وتوصلنا إلى نقل السيارة إلى المكان المقصود.[٣٣]

احتلال القرية وتهجير أهلها

سقطت أبو كشك على الأرجح في يد الصهيونيين قبل مدة قصيرة من انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٥ أيار ١٩٤٨. ويذكر المؤرخ الفلسطيني عارف العارف أن القوات الصهيونية كانت في تلك الآونة تسيطر على كامل المنطقة الساحلية الواقعة بين حيفا وتل أبيب. ومن الجائز أن تكون أبو كشك تأثرت بالحوادث التي جرت في قرية الشيخ مؤنس المجاورة، إذ كانت القريتان تقعان مباشرة خلف حدود تل أبيب وكانتا هدفا للهجوم في أوائل الحرب. ويشير المؤرخ الإسرائيلي بيني موريس إلى أن "عملية إجلاء المنطقة الواقعة مباشرة

من الشمال من تل أبيب إخلاء نهائيا، قد تمت على يد عصابة الأرغون، "ولم ينفع اتفاق هدنة، كان عقد سابقا بين سكان الشيخ مؤنس والهاغانا، في ردع الارغون عن الاعتداء على زعماء القرية. ذلك بأن مجموعة من هذه العصابة تسللت إلى داخل القرية في أواخر آذار ١٩٤٨، وخطفت خمسة من هؤلاء الزعماء. وحمل هذا الهجوم الناس على الفرار بكثرة من المنطقة الساحلية المحيطة بالقرية، وقد يكون سكان أبو كشك ضمنهم.[٣٤]

والأرغون هي منظمة صهيونية إرهابية، تطلق اختصارا على "أرغون تسفائي لئومي بأرتس يسرائيل"، أي المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل، وتختصر حروف كلماتها أيضا بكلمة "إيتسل"، وشعارها هو يد تمسك بندقية كتب عليها "هكذا فقط". تأسست المنظمة في العام ١٩٣١، حينما انشقت عن الهاجاناه بحجة أن الاخيرة اتبعت طريق الاعتدال في حربها وإرهابها ضد العرب وتراجعت عن أهداف الصهيونية. ويعتبر جابوتنسكي الأب المفكر لهذه المنظمة الإرهابية.[٣٥]

وبإعلان قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨، استلم اليهود الراية من الاحتلال البريطاني، ولكن بشراسة وعنف واستعمال أعتى الوسائل لتفريغ البلاد من أهلها العرب والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم في شتى المدن والقرى. وهكذا لم يبق من يافا حينما اقتحمتها قوات الارغون والهاجانا اليهودية في ١٤ أيار ١٩٤٨، غير عدد يتراوح بين ٤٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ من سكانها العرب، قدر لهم أن يعيشوا في مناطق محدودة محرومين من حقوقهم ومن هويتهم العربية وربما خلال بضعة سنوات قادمة تندثر يافا العربية ولا يبقى منها غير اسمها التاريخي.[٣٦]

وقد ترتب على نكبة ١٩٤٨ أن فقد عرب أبو كشك أراضيهم وانعكس ذلك عليهم بعدة أشكال:

أ. اقتصاديا: فقدان المصدر الرئيسي والوحيد للدخل والمتمثل بالأرض مصدر رزقهم.
ب. اجتماعيا: نزوح جميع الأهالي من القرية بحيث أصبحوا لاجئين، ومن جهة أخرى هاجرت العديد من العائلات ولجأت إلى المدن والقرى المجاورة داخل الوطن مثل نابلس واللد وطولكرم، وبعضها لجأت إلى الدول المجاورة وغير المجاورة خارج الوطن مثل الكويت والسعودية والأردن وحتى أمركيا بحيث نجم عن ذلك تفتيت البنية الاجتماعية للقرية.

الفصل الثالث: النشاط الاقتصادي

الزراعة

امتازت أراضي القرية بخصوبتها ووفرة مياهها، وعرفت باسم الأرض الحمراء، وكانت من أحسن الأراضي لزراعة البرتقال. وكان استخراج المياه الجوفية غير مكلف لقرب المياه من سطح الأرض. ومن أسماء الأراضي المشهورة في القرية، المالكية وأبو سدرة والحلتمية والغابة حيث سكن القرعان، ويقال عن هذه الأرض: "كانت الفرس تخش فيها ما تبينش من الحلفا". ويصف احدهم مواضع الأراضي، بدءا من الشرق حيث تقع منطقة "وابصة"، ومنها إلى الغرب تقع ارض تسمى "أم عدل" وهذه تقع شرقي النهر بجانب قرية بيار عدس وجلجولية. ثم نصل إلى وادي الأكراد ووادي الحلتميه، وفي الجنوب تقع ارض الحمرا. أما في الشمال، فهي أراضي رملية "تنقسم لاخوار". وهناك بعض الأراضي التي يلفها النهر، وكل قطعة من الأرض لا تقل عن ٢٠٠ دونم، واحدة يسمونها، "ذيل الحصان" وواحدة تسمى "ذيل الجمل".[٣٧]

في عام ١٩٤٤/ ١٩٤٥ كان ما مجموعه ٢٤٨٧ دونما من أراضيها مخصصا للحمضيات والموز، و١٤٠١٨ دونما للحبوب، و٢٢٦ دونما مرويا أو مستخدما للبساتين. وكانت الزراعة تعتمد في جزء منها على مياه الأمطار، وفي جزء آخر على الري (ولا سيما من الآبار الارتوازية) الذي كان في غاية الأهمية للبساتين، وقد اعتنى سكان القرية بتربية المواشي فضلا عن عنايتهم بالغلال الزراعية.[٣٨]

ويروي الراوي ماجد:

> كان عنا التربة قسمين: ١. تربة رملية نزرع فيها بطيخ، شمام، ترمس، قمح، شعير. ٢. وتربة حمرا نزرع فيها حمضيات. وكانت ارض أبو كشك واسعة حوالي ١٣– ٢٠ ألف دونم. مثلا حياة عمي الشيخ شاكر كان عنده ٤٠٠ دونم، وحياة أبوي "شريف" كان عنده ١٥٠ دونم.[٣٩]

ففي الأربعينيات، كان الملاكون الكبار في القرية هم أبناء محمد الفارس وهم الشيخ شاكر وإخوته سيف وفوز وشريف وتوفيق. وقد وصفوا بالإقطاعيين، لأن والدهم كان يشتري معظم الأراضي من أقربائه الذين لم ينجبوا أطفالا مثل هاشم أبو كشك، وهذا كان من أكبر التجار المعروفين في ذلك الوقت واشتهر بكثرة أمواله وكثرة أراضيه.[٤٠]

ويتابع الراوي قائلاً:

كنا نزرع قمح، بطيخ، شعير، ذرة، سمسم، ترمس، والخضر بأنواعها والعنب بالإضافة إلى ببارات البرتقال والصبر.[٤١]

فيما تقول الراوية إحسان:

حياة أبوي كان يسقي من بير ارتوازي، أما عمي شريف كانوا حاطين ماتور في النهر ويسقوا البيارات".[٤٢]

وتقول الراوية نجلاء:

بالنسبة لمياه الأمطار، ما كنا نعتمد على مياه الأمطار إلا عشان القمح والشعير والذرة، أما الخضروات والحمضيات والبيارات على السقي.[٤٣] ونظرا لاشتهار القرية بالبرتقال، فقد تعلم أغلب أفراد الحمولة كيفية لف البرتقال وتعبئته، حيث قيل "اللي بدخل البيارة بعرف الحبة اللي بتتاكل والحبة اللي بتتاكلش، النا خبره فيها".

وفي سنة ١٩٤٧، واثر صدور قرار التقسيم، طلبت الهيئة العربية العليا الامتناع عن قطف وتعبئة البرتقال المعد للتصدير، وذلك رغم أن تجار البرتقال في يافا كانوا قد ارتبطوا بعقود لتصدير ستة ملايين صندوق إلى بريطانيا وأوروبا. وقد تم تشكيل وفد من أصحاب البيارات وتجار البرتقال يمثل اللجنة القومية في يافا سافر إلى القدس وقابل المسئولين في الهيئة العربية العليا لإقناعهم بخطأ هذا القرار وبالضرر الفادح الذي يعود على يافا والعرب وخصوصا أن مينائي تل أبيب وحيفا سوف تبقى مفتوحة لاستقبال وتصدير البرتقال اليهودي. وأصرت الهيئة على رأيها مما اضطر أصحاب البيارات والتجار رفض الالتزام بتنفيذ القرار وعملوا بسرعة لجني المحصول وتصدير ما أمكن تصديره، ولكن جميع البيارات العربية الواقعة في مناطق يهددها اليهود لم يتسن قطف ثمارها وخسرها الاقتصاد العربي. وكانت النتيجة انه تم تصدير حوالي ثلث المحصول العربي. وأثناء الحرب العالمية الثانية أمكن لسكان يافا وتجارها فتح بعض الأسواق الجديدة لبرتقال يافا في البلاد العربية المجاورة كسوريا والعراق، وقد أمكن ذلك بعد تحسين الطرق مع تلك البلدان حيث كان ينقل في قوافل من اللوريات (الشاحنات) الضخمة. وذلك بطبيعة الحال كان على نطاق ضيق.[٤٤] أما بالنسبة لحراثة الأرض، فقد كانوا "يفزعوا فزعات فزعات للحراث بعدين طلعت البوابير"، ويقال أن أفراد الحمولة لم يكونوا ماهرين في الزراعة والفلاحة، "بيجو هالعربان أنتي خذلك هالأرض على النص، وعلى الربع". وكانت اغلب الأراضي ملكا للشيخ شاكر وأخوته وباقي العربان يملكون الربع.[٤٥] ويقول الراوي محمد أبو كشك:

كنا نعتمد على الخيل في الزراعة، وكنا نستخدم عود الحراث من الحديد، وكانت جوز خيل يحرثن على عود واحد. وكان القرعان والعرايشة يحرثو على الجمال، وكانت الأرض رمل صفرا ما بتوحل في المطر، وكنا نجيب حصادات تعمل على ماتور تسحبه الخيل يقص قص مثل السيف، فالأرض سهل واسع والقمح واقف، حوالي ٥٠٠ دونم صعب نستخدم المناجل.[٤٦]

التجارة

بحكم موقع القرية، فقد كان ارتباطها بيافا قويا بسبب قربها نسبيا من المدينة، وسهولة المواصلات بينها وبين يافا، حيث كانت الخضروات الطازجة والألبان والجبن والبرتقال وغيره من المواد الغذائية تصل إلى أسواق يافا يوميا. ويروي الراوي ماجد:

كان عنا سيارات نطلع فيها على يافا نصدر لهم الخضار والفواكه والحمضيات، ونستورد الطحين وأغراض البيت.[٤٧]

وقالت الراوية إحسان:

كان أبوي عنده مكتب بيافا ويصدر حمضيات إلى لندن وأوروبا وكان تاجر كبير ومعروف.[٤٨]

وكانت التجارة الرئيسة مع يافا واللد والرملة، وكان الشيخ شاكر حتى عام ١٩٤٨ مديرا للحمضيات في فلسطين ومسؤولا عن تصدير الحمضيات إلى جميع أنحاء فلسطين والى خارجها مثل لندن وباريس، وهو أول من اشترى سيارة "بويك" وأول من ادخلها إلى فلسطين، حيث كانوا قديما يسافرون بواسطة الجمال لبيع منتجاتهم. ثم تطور الأمر في الأربعينيات وانتشرت السيارات خصوصا لأخوة الشيخ شاكر. ويشق القرية البدوية شارع رئيسي ويسمى "طريق يافا"، لأن التجارة في ذلك الوقت كانت تأتي من الشام وتذهب إلى يافا عبر طريق يشق منتصف البلد. ويصف أحدهم: "في طريقين، طريق للشتاء، وطريق للصيف، طريق الشتا بتيجي من نص دور أبو كشك من جهة قلقيلية بتخش على الطيرة، وبعدين على أبو كشك وعلى يافا، والطريق الثانية كانت على أيام الأتراك، كلها حجار وزلط يستعملوها للعربايات والجمالة، بأيام الشتا، تيجي من قدام بيار عدس، تخش على أراضي أبو كشك، وتيجي من النهر وتقطع فوق النهر وتمشي بأرض الحمرا وتظل خاشه على يافا".[٤٩]

الثروة الحيوانية

قال الراوي ماجد:

كنا نربي الغنم والبقر والخيل، وكانت الخيل اتطارد.[٥٠]

ولما كان لجميع القبائل البدوية العربية اهتمامات خاصة بالخيل، فقد كان لعرب أبو كشك علاقة قوية جدا بالخيل. ويروى انه في إحدى حفلات الأعراس امتطى "جلفا" فارس اسمه عبد الله السالم، ولم تفلح الفرس في مسابقة التقاط الزرافة، التي كانت تجري في الأعراس. غضب صاحبها إلى حد القول: "هذه من سلالة علي بن عليم، بدي انتع راسها بها السيف". رفضت الفرس بعد فشلها في السباق ما قدم لها من ماء وغذاء، واستمرت صائمة حتى اليوم الثاني، ثم اشتركت الفرس في اليوم الثاني في مسابقة الزرافة، حيث استطاعت أن تحقق فوزا ساحقا، فقد كانت تسبق منافسيها بمسافة تزيد على الكيلومترين، وبعد فوزها ذهبت لتقف أمام صاحبها. ويضيف القائل:

كانت علاقتهم بالخيل قوية، يوشوشها تلحقه وين ما بده. يحط ثمه بذانها تلحقه. لو سقط خيالها من على ظهرها تقف عنده وتحميه، لما كان ييجي يركب الواحد فيهم تنبطح على الأرض، اللي عمره أربع سنين يطلع فوق ظهرها وتنهض فيه، وعند المعارك بس يحط طرف رجله، تكون شاردة أكثر من كيلومتر. وكان في منطقة عرب أبو كشك بعض الدراويش: "ناس بقولولهم دار أبو سمعان، يعني جماعة متدينين، في واحد كان حرامي، راح يسرق من واحد عجول، اسمه احمد الأطرش، الحج أبو سمعان اله دار حجر، ونايم بره قدام الدار وأرضه وسيعه، ونايم تحت هالتوته، والبقر مربط، أجا وقف فوق راسه احمد الأطرش، قاله: اسكت يا احمد! راح شرد لغاد الحرامي، رد رجع عليه، وقال له: ما تسكت يا احمد!، ثالث مره راح، قاله: بدك تروح ولا لا؟ وكان آل أبو سمعان بارعين في معالجة الخيل: مرات تنزل الميّ في عصب الخيل، يشق عصبها، ويحط من شعر ذيلها، يلفه ويكويها، وتصير المي تنزل من عصب الفرس، كثير كانوا شطار في هالشغله". وكان يوجد في القرية لحامين اثنين وهما محمد عبد الرحيم والطيب يوسف وهم يقومون بالذبح لأفراد الحمولة جميعها ما يخلوش اللحمة معلقة طول النهار".[٥١]

وكانت تربية المواشي في سبيل الاكتفاء الذاتي، وسد الحاجيات الغذائية من الألبان والأجبان والزبدة واللحوم، وتصدير الفائض إلى يافا، واستخدام الخيول في التنقل، وحراثة الأرض، وفي الأعراس.

أنشطة صناعية متفرقة

لم يكن في القرية صناعة معينة بشكل عام، ولكن كان كل بيت يقوم ببعض الصناعات، لسد حاجاتهم الغذائية، وذلك بالاعتماد على العربان أو العبيد الذين كانوا يعملون عند أفراد أبو كشك، سواء في الزراعة والفلاحة وتربية الحيوانات، أو في الديوان وتحضير الولائم والمناسف للضيوف الوافدين على القرية باستمرار، أو في البيوت. وكان يوجد منطقة ضمن قرية عرب أبو كشك تسمى منطقة الطواحين؛ "طواحين أبو رماح" وهي تعمل بواسطة الماء وهي قديمة جدا.[٥٢] ويروي الراوي ماجد:

> كانت العربان من العرايشة والقطاطرة وأبو ممدوح يفلحوا عنا ويزرعوا الأرض.[٥٣]

ونظرا للرابطة القوية للقرية بيافا، وسهولة المواصلات، فقد سهل ذلك على أبناء القرية العمل في الخدمات المختلفة، وخاصة التجارة والخدمات التعليمية. أما العربان فربما انخرطوا في أعمال أخرى، كأغراض البناء والتشييد أو الميناء والخدمات الأخرى.

وكان في القرية حلاق اسمه هدى، وكان البعض يقومون بحلق شعورهم في مستوطنة "ملبس"، وباقي العربان يحلقوا بالموس. بالإضافة إلى بعض الدكاكين والمتاجر الصغيرة التي انتشرت في أواخر الأربعينيات، والتي توفر بعض الحاجيات الأساسية التي يحتاجها كل منزل مثل: دكانة محمد عبد الملك أبو سعود ولم يكن في القرية مقاهي إذ كانوا يكتفون بالدواوين".[٥٤]

وبهذا نرى أن الزراعة بكافة أشكالها قد احتلت الجانب الأكبر من الموارد التي يعتمد عليها أهالي القرية كمصدر رزق أساسي، وبخاصة تجارة البرتقال.

الفصل الرابع: الحياة الاجتماعية

العلاقات الاجتماعية

يعتقد جميع أهل القرية أن أفراد قرية أبو كشك البدوية كانوا على اتفاق تام فيما بينهم، وكانوا متكافلين متلاحمين: "الغريب ما بقدرش يخش بينا ويفسد ويلعب دوره" على حد قول أحد أبناء العشيرة. وكانت كلمتهم واحدة، ورأيهم واحد، منضبطين أمام أي صعوبات يجتمعون فورا عند الملمات "إذا واحد انغلب على أمره يناصروه".[٥٥]

كان عرب أبو كشك غير مكترثين بقوى الأمن والشرطة والجيش، وإنما كانوا يلجأون إلى الحكم العشائري في حل مشاكلهم وحماية من يلجأ إليهم. "إذا اختلفوا مع بعض بردوا يصطلحوا ما يخلوش غريب يدخل بينهم ما توصلش القتل بينهم"، فكانوا يعتمدون العقل والحكمة في ذلك، وكان للزعيم مكانته ومهابته، وكان يتمتع بالاحترام، ولم تكن ولاية العشيرة وراثية، ولكن لمن تتوفر فيه مواصفات وشروط الولاية؛ وهي القوة، والشجاعة، والفروسية، والكرم، والقدرة على القيادة، وتحمل المسؤولية. كان يتولى القيادة الرجل "السمط" على حد تعبير أفراد العشيرة.[٥٦]

لم يقتصر الأمر داخل القبيلة بل تعداه خارجها حيث قال الراوي ماجد:

> إن الزعماء كانوا يقومون بدور الوساطة عند الصلح والتوفيق بين الأطراف المتنازعة للوصول إلى الحلول المناسبة. وبذلك استطاعت القبيلة أن تضع نفسها في موقع المحبة والتقدير والاحترام من القرى المجاورة بالإضافة إلى علاقات النسب والمصاهرة.[٥٧]

وقالت الراوية نجلاء:

> كان ديوان أبو كشك على مدار العام عامرا بالضيوف، حيث تتوفر اشهر المأكولات، والحفلات، والسهرات البدوية.[٥٨]

وقال احد الرواة:

> لما تتقاتل قرية مع الثانية أو عشيرة مع الثانية، ما يخلصوش بعض والمحاكم بتخلصش، لما ييجوا عند دار أبو كشك، يخسر من جيبته، من كيسه، ويوخذ الطرفين، ويروحهم أحباب وأصحاب، وان كان دم يدفع ديته، ويسلك الأمور ما يخليش حد يروح زعلان.[٥٩]

العلاقات الخارجية

العلاقات مع مصر: استقرت عدة عائلات مصرية في مدينة يافا. حيث قال الراوي محمد أبو كشك:

> في الأصل عرب أبو كشك أجو من الجزيرة العربية على مصر ثم على غزة وبعدين استقروا بيافا.[١٠]

العلاقات مع بلاد الشام: حظيت عشيرة أبو كشك باحترام زعماء بلاد الشام، ومن بينهم "شكري القوتلي". وحدث أن ذهب فارس أبو كشك وحسين أبو كشك وهما من شيوخ العشيرة لزيارة صديق لهما في الشام يدعى "العمري"، وعندما عرف القوتلي بوجودهما في الشام، جاء لزيارتهما في مكان إقامتهما، ودعاهما لزيارته في بيته الذي كان مرصعا بالمجيديات (العملة التركية القديمة) وعرض عليهما الانخراط في الجندية فرفضوا ذلك.[١١]

العلاقات مع الأردن: لما كانت عشيرة أبو كشك تحتل مركزا مرموقا بين القبائل والعشائر البدوية في فلسطين، فقد كان يأتي لزيارتها شخصيات معروفة. فقد قام بزيارة العشيرة الأمير عبد الله: "وعملوا له حفلة طويلة عريضة". ومثقال الفايز أحد رجال شرق الأردن المعروفين ووالد عاكف الفايز رئيس مجلس النواب الأردني، كان يقوم بزيارات مطولة لعشيرة أبو كشك حيث كان يقيم في مضارب العشيرة أكثر من شهرين في الزيارة الواحدة. كما كان يقوم بزيارتهم العديد من زعماء ومشايخ عشائر شرق الأردن.[١٢]

التعليم

في العام ١٩٢٥، أسست مدرسة في القرية التي كانت مقامة على مكان مرتفع، حيث شوهدت بعد عام ١٩٦٧ عن بعد، ثم أزيلت بعد ذلك. وكان سقفها من القرميد والجدران من الخشب، وكان من أساتذتها الشيخ ياسين، والشيخ محمد، ورفيق، وشوكت شاهين الذي كان يدرس اللغة العربية والرياضيات والتربية الإسلامية. وكان التعليم بها حتى الصف الرابع الإبتدائي. وبلغ عدد طلابها في أواسط الأربعينيات ١٠٨ تلاميذ و ٩ تلميذات، ثم يذهب الطالب لإستكمال تعليمه في مدارس يافا وطولكرم وقلقيلية. ثم تم زيادة صف للمدرسة بعد أن أدخلت عليها توسيعات في العام ١٩٤٠، وتم ربطها بالمياه وإنشاء حديقة لها، كما تم إضافة الأستاذين محمد عارف وإحسان بيدس للتدريس فيها، وكان يأتي الشيخ صالح الرابي إلى القرية في موسم الصيف لإعطاء دروس تقوية للطلاب.[١٣]

كان الأستاذ في ذلك الوقت له مهابته واحترامه بين تلاميذ المدرسة وله مكانه اجتماعيه رفيعة:

"الأستاذ كان مقدس في القرية، كان يذهب يوم الخميس ويرجع يوم السبت، إحنا نوقف فوق المدرسة، المدرسة على تلة، إحنا نقول يا رب يتأخر المعلم، هذا الشيخ محمد علي الزغير، بس نشوفه يطل من مسافة ٥–٦ كم، كل طلاب المدرسة يتسابقون اللي بدو يحمل الشنطه واللي.....

كان من الذين تابعوا دراستهم من عرب أبو كشك أبناء الشيخ شاكر أبو كشك، فقد تعلموا في مدرسة الفرندز في رام الله. وأول بنت من بنات العشاير، بنته نايفه، تعلمت في الفرندز في رام الله، لما بعثها، قالوا له الله اكبر، انت شيخ عشيرة وتروح تعلم بنتك، قال لهم، العلم ما في عيب لازم تتعلم". وقد تابع نواف ابن الشيخ شاكر دراسته في الفرندز ثم درس في الجامعة الاميركية في بيروت، ثم ذهب إلى أميركا للدراسة وأعطي منحة من الحكومة الأردنية ويعمل الآن في وزارة الكهرباء في الكويت. كانوا كثيرا يهتمون بالتعليم ولو كانوا قبائل وعشائر.

وكان من أبناء عرب أبو كشك الذين درسوا في مدرسة القرية بكر أبو كشك. فبعد أن أنهى دراسته في مدرسة القرية ذهب للدراسة في مدارس قلقيلية ثم في مدرسة خضوري الزراعية في طولكرم، ثم عمل في وزارة الزراعة الإسرائيلية في جلجوليه، ثم سافر إلى أمريكا فحصل على الدكتوراه في الاقتصاد الزراعي. وعند عودته إلى البلاد عمل مدرسا في جامعة بير زيت، ثم مديرا لمركز الأبحاث وعميدا لكلية التجارة فيها. ومن أوائل المتعلمين من أبناء عرب أبو كشك احمد أفندي أبو كشك الذي سافر الى اسطنبول للتعليم العسكري، وتخرج برتبة ضابط، وقد سلمه الأتراك منطقة يافا. وفي الحرب العالمية، "سحبته الأتراك، صار قائد عرفي". وقد كان لذاك الشخص نفوذا قويا جدا لدى الجيش التركي. وقد تعلم ابنه ماجد أحمد أبو كشك وعمل مديرا للبنك العربي في طولكرم، ثم مديرا لوكالة الغوث، ثم سافر للعمل في السعودية. وتعلم أيضا آخرون منهم أحمد أبو كشك، وعلي أبو كشك.[١٤]

قال الراوي عبد القادر أبو كشك:

درست ثلاثة شهور في الصف الأول في مدرسة أبو كشك – التي كانت تدرس حتى الصف السابع وكانت من الحجر – وبعدين صارت نكبة ٤٨، واتهجرنا وقعدنا ١٢ سنة متشردين من بلد لبلد، ولما رحنا على الغور درست الصف الثاني والثالث.[١٥]

الصحة

كان يمارس الطب الشعبي في عرب أبو كشك القابلات، وكانت أشهرهن "سعدى". وفي القديم، كان يمارس الطب الشعبي الشيخ إسماعيل المحمود، ويوصف بأنه كان عفيف النفس: "فرجه طاهر، عمره ما أكل حاجة حرام بحياته، الحرمه اللي كانت تتعوق، يروحوا يغسلوا رجله اليمين، وتشرب من الميه وتلد". ويضيف أحدهم أن القليلات من النساء كن يلاقين مصاعب في الولادة، وفي تلك الحالات يحضرون الطبيب من يافا أو من ملبس: "تعركست مرة صالح الضامن، ومرة محمد عبد المالك اللي هي أم سعود، لأن محمد عبد المالك أخذ تنتين أول وحدة خلفت أربع خمس بنات، وما انجبتش ذكور، والثانية ولد سمته إدريس على اسم عمه. وتعركست في ولادتها وجابولها طبيبة من كفار سابا". وكانوا بارعين في تجبير الكسور، وكان أشهرهم في التجبير عبد من العبيد من عائلة أبو خميس، كان يداوي ببيض وصابونه وشعر غنم ويلفلفها مضبوط ويخليها مستقيمة. ويتحدث احدهم:

> مرة بدنا نطلع نطول عصافير من دار أبو رشاد هدموها الأتراك وما صلحهاش أبو رشاد، حجر ملفلف تلفلف، طلعنا نجيب عصافير، وقعت أنا والحجر، أجا على رجلي، جابولي حمدان أبو خميس وجبرلي إياها. ومرة وقعت من على ظهر الحصان، أجت ايدي تحتي، جابولي أبو خميس طوالي.[١٦]

وقال الراوي ماجد:

> كنا شاطرين بالتجبير، مرة ابن عمي عوني أجت اجره تحت ماسورة كسرتها راحت اجره وجبروها وهيو ما شاء الله لليوم عايش.[١٧] وكان أفراد عرب أبو كشك كثيرا ما ينجبون أطفالا ذوو ستة أصابع، ويسمونهم بالحسوميين، لولادة الطفل وقت حسوم الشجر.

يقول آخر:

> انه في عهد الأتراك انتشر وباء الكوليرا وماتوا عبيد كان اسمهم جنكلة، وتحدث آخر عن سنة الجراد قبل ال ٣٦، فقد اتلف مزروعات أراضي عرب أبو كشك، وبعد ذلك زرعت الأراضي مرة أخرى، وكانت أخصب من الأراضي السابقة، حيث زرعوا البطيخ والسمسم.[١٨]

وصرح أبناء القرية أن بعضهم أصيب بالسل ولكن بشكل قليل. وقد استخدم عرب أبو كشك الكي بالنار في العلاج حيث قال الراوي محمد أبو كشك:

> كان في حرمه ختياره، أجت لعنا الحرمه هذي، عالجتني، كان عندي برقبتي دمل، رحت

على دكاترة كثير، ولما كوتني الختيارة بالنار راحت" . وأضاف الراوي قائلا: " طلعت مره على شجره، كان في ورم تحت بطني ما أقدر أمشي، جابني جدي وصار يولع نار، قعدني وأعطاني قهوة مع سكر، واجا خالي وغطاني، وراح كواني باجري وطبت.[٦٩] وفي أوائل الأربعينات، انتشر مرض الجدري، وأصيب اثنان محمد إسماعيل ومحمد الحسن، كانوا يجيبوا لهم دكاتره، وكانوا لافينهم بالقطن، وجه الواحد زي المخزق" . ويتحدث احدهم عن نفسه، وعن كيفية أصابته بمرض التيفوئيد وهو في سن الثامنة من عمره، في مضارب عرب أبو كشك: " مرة من المرات أنا مرضت، كنت ولد زغير، وعزيز على أبوي، لأبوي ١٢ ولد، يصير الواحد عمره ٧–٨ سنين ويموت، هيك من الله، سخنت أنا يوم من الأيام، حطني قدامه على الحصان، وكان في حكيم يهودي من على أيام الأتراك اسمه اسحق، فحصني وقال الولد مصاب بالتيفوئيد، وعليه خطر ٢٤ ساعة" . منع الطبيب الطفل من أكل اللحوم بتاتا، ومضى على مرضه ما يقارب الثلاثة إلى أربعة أشهر، وخلال الشهر الثاني، أحب الطفل أن يأكل اللحم، فلم يمانع والده. " قلت لوالدي: بدي تساويلي شوايه، بعمل لحمه اسمها شراع، بسياخ، ويحطها بملح وفلفل ويشويها عالنار، عالصاج" . وبالفعل ظل الابن يأكل من اللحم صباحا ومساءا حتى شفي تماما، حيث يعتقد الابن البالغ من العمر الآن ٥٥ عاما أنه قد شفي من جراء تناوله اللحم" .[٧٠]

وقال الراوي محمد أبو كشك:

واحد مره من بني صخر صار معه جرب بكاش في دوا أجى على عين ميّ لحاله صار ينام في كهف، وصار يمر على هالرعيان يشحد منهم، الزلمه قعد عشرين سنه، لقي عشبه صار يدهن بحاله وهالجرب يروح لما رجع بدنه مثل ما هو وبعدين راح على عرب شحدوله أواعي (ثوب وقمباز وعباه) وحمل حاله وأجا على أرضه، أولاده وحرمته دشرهم صغار. شاف هالارض والحراثين سألهم: "لمين هالارض" قالوا: " هاي أرض فلان" راح على داره قالوا له أهلا وسهلا يا عم قعد وقلهم بدي ربابة قالوا له عنا ربابة للختيار الله يرحمه، قال لهم روحوا جيبوها، أمهم ما رضيتش، ومن هون لهون جابوها لما شافوا عنده إصرار، وبس حز الربابة ورجعها، أمهم زغردت، طلعت وقالت: " يما هذا أبوكم.[٧١]

الزّي الشعبي

كان لباس عشيرة أبو كشك كما قال الراوي ماجد:

لباسا بدويا من القمباز والجاكيت والعباءة والحطة والحزام، وجاكيت الختيار طويل. والشاب جاكيت قصير والعباءة من فوق وقيطان يربط القمباز من الداخل وجيبه صغيرة من جنب، ويلبس سيفه ويحط فرده على جنبه.[٧٢]

وقال الراوي محمود ابوكشك:

كانت العباءات في الشتاء صوف خمال قويات يسموهن بشتيات، وتكون خفيفة في الصيف. أما الحريم كانت قديما " تضع غطاء على الوجه وعباي لما تطلع."[٧٣]

ويتميز أبناء أبو كشك بجمال الملامح؛ وطول القامة، وبياض البشرة، والشعر الأشقر، والعيون الزرقاء، ولكن حب امتلاكهم للعبيد وزواجهم من الغريبات فيما بعد افقدهم مع مرور الزمن بياض البشرة ".[٧٤] أما العبيد في العشيرة وخاصة الذين كانوا يسكنون شرق القرية فكانوا اقرب إلى السمار كما صرح بذلك أبناء القرية.

المقامات والمواسم

مقام سيدنا علي: وهو قريب من مصب نهر العوجا إلى الشمال، حيث كانت عشيرة أبو كشك تقوم بزيارة مقام سيدنا علي بن عليم، الواقع في منطقة سيدنا علي المشرفة على البحر، حيث يقومون بالوفاء بالنذور، فيذبحون المواشي ويقدمون الضحايا ويحتفلون بهذه المناسبة بإطلاق الرصاص في الهواء.[٧٥] كما يوجد مقام شيخ يدعى سعد يقع إلى الشمال منها، في الحقول الممتدة بينها وبين قرية السوالمه المجاورة.[٧٦]

موسم روبين: من أجمل المواسم وأعمقها أثرا في نفوس أهل يافا ـ ينتظره كل أبناء المدينة. وقد أنشئ مقام النبي روبين على بعد ٣ كيلومترات من الساحل. وقد استمر هذا المصيف الجميل، ولم يتوقف إلا بسبب ثورة سنة ١٩٣٦، وتعرض الطرق الموصلة إليه للاعتداءات اليهودية لوجود عدد من المستعمرات على جانبي الطريق. كان موسم روبين المصيف المفضل لأهالي يافا والقرى المجاورة ولبعض سكان اللد والرملة والأهالي يستعدون له بادخار ميزانية خاصة. ولموسم روبين تقاليد خاصة ويبدأ الموسم بعد "زفة التوب"، تبدأ بتجمع كبير في أطراف البلدة القديمة المشرفة على وسط البلد. ومن هناك تبدأ المسيرة وتعزف الموسيقى الشعبية، وتدق الطبول، وتتردد الأناشيد الشعبية، وترتفع الأعلام والبيارق، وتستمر هذه المظاهرة الشعبية حتى ساحة الساعة في وسط المدينة، وتتفرق الجموع إيذانا بافتتاح الموسم، وكانت كلمة موسم تغلب على كلمة مصيف. المنطقة التي كان يقام فيها هذا المصيف تقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات من يافا عن طريق شاطئ البحر حيث يقع مصب نهر روبين، والمنطقة عبارة عن صحراء رملية ترتفع قليلا عن سطح البحر، والى شرق الموقع تقوم بعض المباني البسيطة التابعة لوزارة الأوقاف، وساحة قرب مجرى النهر تسمى المخاضة، حيث يتجمع القادمون إلى المصيف عن طريق البر، وعلى طول مجرى النهر حتى مصبه تعلو أشجار الكينا الكافور، ويغلب على المنطقة الجو الصحراوي المنعش وخصوصا في الليل، والهواء هناك نقي خال من التلوث لأن السيارات لم تكن تستطيع السير في رماله

الكثيفة. كان المصيف يستقبل زواره مع بداية فصل الصيف ويبلغ الذروة في شهري تموز وآب وينتهي في شهر أيلول لانتهاء فصل الصيف وافتتاح المدارس. ولشغف أهل يافا بموسم روبين كان هناك مثل يجري على كل لسان المرأة اليافوية "يا تروبنني يا طلقني"، إلى جانب السينما والملاهي، كان الشاعر والربابة (الشبابه) والحكواتي، وفي سنوات ١٩٤٧ /١٩٤٨، كانت رمال روبين أماكن لتدريبات شباب يافا على السلاح. امتاز هذا المصيف بأن الناس تتحرر فيه من القيود، فالجميع الكبار والصغار يرتدون الجلابيب البيضاء (الثوب الأبيض) أو القنباز الروزا، وهو لباس مخطط، ومن النادر أن يشاهد من يرتدي البدلة والبنطلون، والحياة الطبيعية كانت من أهم سمات الصيف. من تقاليد المصيف أن الجمل والهودج هما وسيلة المواصلات إلى مكان المصيف، فكانت الجمال المزركشة والأجراس النحاسية المعلقة بها التي تعلن عن تحركه وتحمل الخيام ولوازم الإقامة كالفراش (المراتب) وأدوات المطبخ وكل ما يلزم لقضاء مدة شهر، وتحمل أيضا النساء والأطفال وتأخذ طريقها إلى شاطئ البحر حتى تصل إلى المكان المعد لإقامة الخيمة، أو التي سبق وأقامها رب العائلة في اليوم السابق. والطريقة الثانية للوصول إلى المصيف الطريق البري وهو أطول من طريق البحر وتسلكه السيارات ويمر ببعض المستعمرات اليهودية.

وأكثر العائلات المتوسطة كانت تفضل طريق البحر. ومن الطريف أن عدد جمال العائلة كان يعكس المستوى المادي والاجتماعي لتلك العائلة. وتقام أيضا في أماكن أخرى بعض الملاهي وخيام خاصة للسينما تعتمد في الإضاءة وتشغيل آلة السينما على مولدات كهربائية وهناك أماكن مفتوحة واسعة لتأجير الخيول والحمير. وفي الصباح الباكر كان بائعوا "التمريه" (وهي نوع من أنواع الحلوى تصنع من رقائق الدقيق ويرش عليها السكر البودرة) يعلنون عن بضائعهم وهم يتجولون بين الخيام المتناثرة، ويتسامرون ويلعبون طاولة الزهر والشطرنج.[٧٧]

الديوان في القرية

بالإضافة إلى ديوان العشيرة، "كل واحد ختيار عنده ديوان في بيته اللي حواليه بيجو عنده، وباقي العربان عندهم شق وكان مهمة الديوان بالإضافة إلى استقبال الضيوف الدائم وعمل الولائم يستخدم في المناسبات وفي الأفراح والأتراح وفي مناقشة الأمور السياسة والدينية والاجتماعية، وكان بدور الجامع إذ لم يكن في القرية جامع.[٧٨]

وكانت القرية مشهورة بالكرم، وحسن الضيافة حسب الكرم العربي والعادات العشائرية القبلية، حيث قال الراوي أحمد أبو كشك:

> كان الواحد منا قاعد، إذا أجا عنده ضيف بدو يذبحلوا حتى لو معندوش غنم يروح عهالغنم المارقة يوخذ خروف ويذبحلوا، ويقول لجاره: "والله أخذت من عندك خروف ذبحته " يا

بقول له هات بداله مثله بموسمه سنة الجاي يا بقول له مسامح. مش بقول له كيف تاخذه وليش تاخذه.[٧٩]

الشخصيات البارزة في القرية

برزت في القرية شخصيات مهمة، كان لها دور بارز في الحياة العامة للقرية عبر تطورها التاريخي، وكان لهم بصمات واضحة في المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية كان منهم:

١. أبو كشك: الشاب اليافع والفارس الشجاع الذي قدم من مصر بأربعين مسلحا، كانوا يشكلون طاقم الحرس للأمير "يعقوب ألحارثي" وعشيرته. ذلك الأمير الذي كان يقطن في أراضي تقع على نهر العوجا، الواقع في وادي الحوارث. لم يكن التحاق أبو كشك بحرس الأمير ألحارثي من قبيل الصدفة، أو من اجل الارتزاق وكسب العيش. فقد كان قد سمع عن بنات الأمير وما يتصفن به من جمال أخاذ ونسب عريق. فكان طموحه يمتد إلى الانتساب لعائلة الأمير والزواج بإحدى بناته. ولم يكن من السهل في الشهور الستة الأولى من انضمام ذلك الشاب للحرس الأميري أن تمتد عيونه لرؤية بنات الأمير أو الاحتكاك بهن: "مبني عليهن صوان، وجواه صوان وخيمه جوه خيمه، بطلعنش إلا في الليل على القمر".[٨٠]

٢. سليمان أبو كشك: وهو من الشيوخ المشهورين في العشيرة، وصف بالجرأة والاحترام والكرم، وقد أرسل والي عكا طالبا إياه للحضور إلى عكا، وأراد التقرب منه. وقال أحد الرواة: "يا شيخ الدنيا بتتغير، بدي أطوب البلاد باسمك من بوابة عكا للرمله بقلب الساحل"، وقال احد أبناء العشيرة: "سليمان كان سمط سمط". وكان عنده بيت شعر كبير وكان يملك الكثير من الإبل والغنم.[٨١]

٣. محمود الشيخ: من أبرز شيوخ أبو كشك، كثير الاعتزاز بالنفس، كثير الافتخار بأولاده الثمانية، وأولاد إخوته أسعد ومحمد اليوسف، تحالفت في عهده ثلاث قوى هي القلقيليون بزعامة منصور أبو جبارة، والصادق من المجدل، والمجنون من عشيرة الجرامنة، لغزو عشيرة أبو كشك فجمع الشيخ حلفاءه مثل: الجيوسي، وعشيرة السواعد من بئر السبع، وعشيرة الجبارات، والسواركه ووقعت المعركة بين الطرفين في وادي ارسيم، حيث تقع مستعمرة "رماتايا" اليوم وأسفرت المعركة عن انتصار عشيرة أبو كشك وأنصاره.[٨٢]

٤. محمد اليوسف: تولى زمام المشيخة بعد عمه محمود الشيخ، وكان قد برز معه في معركته وأبلى بلاء حسنا، وكان كما وصفه أبناء العشيرة عريض المنكبين، يبلغ طوله أكثر من مترين، واسع العينين، أشقر الشعر، له شاربان طويلان، يصلان خلف أذنيه.[٨٣]

٥. محمد الفارس: كان شيخ القبيلة في المرحلة الأخيرة من حكم الأتراك. أثناء الحرب العالمية الأولى حيث جمع أفراد عشيرته، وهاجر إلى قرية أم خالد، حيث توفي هناك، ثم ورث الزعامة ابنه الشيخ شاكر.[٨٤]

٦. الشيخ شاكر أبو كشك: من أشهر زعامات العشيرة، خلف والده وعمره ١٧ عاما، عاد بعشيرته إلى مكان سكناهم الأصلي، وبذل وأفراد العشيرة جهدا كبيرا في إعادة بناء ما هدم من بيوتهم، وإصلاح ما اتلف من مزارعهم. ويقول الرواة: "انه أول من أطلق الرصاصة الأولى معلنا اندلاع ثورة ١٩٢١، بالإضافة إلى هجومه على مستوطنة ملبس وحرقها واحتلالها. حيث تم سجنه، وبعد الإفراج عنه عاد إلى المشاركة في مجال العمل الوطني، وكانت نزعته السياسية وطنية، وانضم إلى اللجنة القومية في يافا، وكان من كبار التجار المشهورين، وخاصة بالبرتقال وامتلاك الأراضي، وله دور إصلاحي كبير.

٧. الشيخ جبر أبو كشك: كان يتسلم مهمة القضاء في العشيرة، عاش ١٢٠ عاما وتزوج في سن ٤٥، تزوج أكثر من مرة.

٨. شريف أبو كشك: احد رجالات عرب أبو كشك، أقام في قرية الشيخ مؤنس القريبة من عشيرتهم لمتابعة تحصيل أبناءه العلمي في مدرسة اعدادية، وخلال وقت قصير استطاع منافسة زعماء القرية، عمل كعضو في الهيئة العربية العليا، وانتمى لجماعة أمين الحسيني، وشغل عضوية صندوق الأمة، واشترك في معارك كثيرة ضد الهجمة اليهودية، منها معركة قلقيلية، ومعركة قوفيش سنة ١٩٤٨، وكان مسؤولاً عن شراء الأسلحة للثوار، وكثيرا ما كان يسافر إلى سوريا ومصر من أجل ذلك. "كانوا يسموه أبو فردين لأنه شايل فردين وهدول من ال ٣٦ إلى ٤٨".[٨٥]

٩. أحمد أفندي أبو كشك "أبو رشاد": عمل برتبة ضابط مسؤول في مدينة يافا، بعد أن تلق تعليمه في اسطنبول، وعين ضابطا عرفيا في الجيش التركي فيما بعد. وبعد الحرب العالمية تعاون مع الشريف حسين الذي عينه حاكما عسكريا للكرك ومعان. وكان شجاعا يستعمل سلطته في مساعدة أفراد عشيرته.[٨٦]

١٠. حسين أبو كشك "أبو جبر": قيل عنه: "يظلوا ضابينه وساكتين عنه لتصير معارك، إذا صارت معركة يقولوا وين راح أبو جبر".

١١. أسعد أبو كشك: كان متخصصا بالاتصال بالدوائر الحكومية لحل مشاكل أفراد العشيرة.

١٢. مصطفى بن محمد اليوسف: أول مختار لعشيرة أبو كشك، وعندما كبر في السن خلفه توفيق ابن الشيخ شاكر.

١٣. سيف الدين أبو كشك: كان له علاقة وثيقة بحكام شرقي الأردن، كالأمير عبد الله بن الحسين وسكن يافا، وكان له دور في جميع الاحتفالات الدينية. ولكن اللقب الأكثر أهمية هو المشيخه فالشيخ أكثر أهميه ومركزا لدى أفراد العشيرة من الأمير.

١٤. أحمد سالم أبو كشك: هو الوحيد من حمولة أبو كشك الذي استطاعت تركيا أن تلحقه بالجيش، وقد وصل مرتبة عالية في الجيش، وحكم في شرقي الأردن وفلسطين، وترك ثلاثة أبناء: ماجد، ورشدي، ورشاد، وتوفي في تركيا.

١٥. جبر أبو كشك: أول زعيم في العشيرة ثم يوسف ثم فارس ثم محمد.

١٦. الشيخ توفيق: مختار العشيرة.
١٧. محمد سيف الدين: من المناضلين الذين برزوا أيام ثورة ال ٣٦ وحتى ١٩٤٨، وكان مناضلا قويا، ومسؤولا عن منطقة يافا، وكان يقوم بتجهيز المناضلين في يافا والإشراف عليهم، وشراء الذخيرة والسلاح لهم.[٨٧]
١٨. بكر أبو كشك: من أبناء عرب أبو كشك الذين درسوا في مدرسة القرية، ثم ذهب للدراسة في مدارس قلقيلية، ثم في مدرسة خضوري الزراعية في طولكرم، ثم عمل في وزارة الزراعة الإسرائيلية في جلجولية، ثم سافر إلى أمريكيا فحصل على الدكتوراه في الاقتصاد الزراعي. وعند عودته إلى البلاد عمل مدرسا في جامعة بيرزيت، ثم مديرا لمركز الأبحاث وعميدا لكلية التجارة فيها.[٨٨]

الفصل الخامس: القرية وعرب أبو كشك اليوم

تهجير عرب أبو كشك

تتباين الروايات حول تهجير أهالي عرب أبو كشك، فمنهم من أكد على الرحيل القسري، والبعض الآخر نوّه أن بعض سكان المستوطنات التي كانت تربطهم بها علاقات اقتصادية طلبوا منهم البقاء في بيوتهم.

> لقد جرت عدة محاولات من قبل المنظمات اليهودية لإجبار العائلة على الرحيل في العام ١٩٤٧، وكان وقتها الشيخ شاكر في مصر لشراء السلاح، حيث قام بتجهيز حمولة ثلاث سيارات من الأسلحة، وتم توزيع السلاح على الأهالي. وقام اليهود بقتل أبناء عائلة الشوبكي، كما قاموا بسرقة سيارة الشيخ توفيق، وقد تشاور شيوخ العائلة مع فوزي القاوقجي ومدلول بيك قادة جيش الإنقاذ حول الوضع الأمني لمنطقة أبو كشك، فقال لهم القاوقجي: بأن المنطقة ساقطة من الناحية العسكرية، لأنها محاصرة من كل جانب بالمستوطنات، والمنطقة مكشوفة ولا نستطيع المساعدة. وانتقل أفراد العائلة إلى قلقيلية ونابلس ورام الله وطولكرم، ثم إنتشروا في بقاع عديدة من العالم. وكانت مساحة أراضي القرية ٢٠ ألف دونم، وعدد سكانها ١٩٠٠ نسمة. وقام الإحتلال الإسرائيلي بهدم القرية بعد عام ١٩٤٨، وأقام على أنقاضها مجمع "مسيج" للصناعات العسكرية، وأحاط ذلك بالأسلاك الشائكة. كما قام بزراعة الأشجار الباسقة حتى لا تشاهد تلك المصانع. جدير بالذكر، أن العشيرة قد أسست جماعة الشباب المسلح لها في العام ١٩٤٨، من أجل مقاومة الاحتلال الصهيوني، وقد استشهد عدد من شباب تلك الجماعة على أيدي تلك العصابات الصهيونية.[٨٩]

رحل جميع أهالي عرب أبو كشك إلى جلجولية، وقد تم رحيلهم خلال ستة أيام متواصلة ليلا ونهارا. ويحكي احدهم انه أثناء الرحيل كان يهود المستوطنات المجاورة منتشرين على الطرق: "يترجوا: يا شيخ توفيق ارجعوا". لكن الرحيل إلى جلجولية كان مؤقتا لمدة أسبوعين في انتظار قوات العرب، ويقول آخر أن قسما من أفراد حمولة أبو كشك قد سكنوا بعد رحيلهم إلى جلجولية في قرية تسمى خريش (قرية تابعة لخربة كفر ثلث). وبعد هجرتهم إلى تلك القرية بحوالي أسبوع، حضر لزيارتهم سليمان طوقان واحمد الشكعة وجرار رئيس بلدية جنين، وهاشم الجيوسي رئيس بلدية طولكرم، وعبد الرحيم السبع رئيس بلدية قلقيلية. وقد حضروا لمقابلة الشيخ توفيق لإقناعه بضرورة قيادة الثوار في خط المثلث:

> الشيخ توفيق قال لهم، لما اندى على عمي جبر نشوف شو رأيه. أجا الشيخ جبر وعرضوا عليه رأيهم، قال لهم: إحنا فاكرين إنكم جايين تعرضوا علينا بيوت ننام فيها! هان مفيش مي ومنام زي الغنم. إحنا مش مأمنين ولادنا وعيالنا، وبتحملونا حمل وانتوا تقعدوا تتفرجوا! إحنا اجينا طنايب عندكم، هذي هي المساعدة اللي قدمتوها إلنا؟ كل واحد عامل حاله زعيم، ما تقودوا الثورة انتوا![٩٠]

بعد الرحيـل

وصل الشيخ شاكر إلى نابلس قادما من مصر، وعندما رأى ما آل إليه وضع عشيرته من تفكك وتشتت، ذهب على رأس وفد للأردن لمقابلة الأمير عبد الله، وطلب منه مساعدته وإمداده بعدد من قوات الجيش الأردني ليتمكن من القتال والعودة إلى بلده.

قام الملك عبد الله قال له: يا أبو نواف أنت هاجرت وعباتك عليك، أنا هاجرت بدون عباية، وقوتي ما بتقدر تحارب اليهود مع المسلحين تبعينك، أما أنا على استعداد أسلمك خربة أم العمد، من أراضي مثقال الفايز، وهاي مثقال قاعد منخليه يتنازل عنها بيع شرا، وأنا بدفع حقها وأنت بتنزل انت وعشيرتك فيها.

رفض الشيخ شاكر أن يأخذ ارض غيره، وعاد إلى نابلس ومكث هناك لمدة سنة، ثم انتقل هو وعائلته إلى مدينة طولكرم والتزم بيته وابتعد عن الخوض في أية مسألة أو حضور أي اجتماع. كان يقول: "العرب ما فيهم فايدة، مجتمع فاضي". في حين تفرقت باقي عشيرة أبو كشك إلى جهات مختلفة في فلسطين. رحل البعض من أهالي عرب أبو كشك إلى نابلس، والبعض الآخر رحل إلى اللد، وقسم آخر إلى قولية، وبعضهم رحل إلى جلجولية. وفي سنة ١٩٥٠، حضر الأمير عبد الله إلى نابلس وطلب من الشيخ شاكر الحضور إلى نابلس، ومن ثم التجوال مع الأمير في مناطق الضفة الغربية. رفض الشيخ شاكر في البداية، ولكنهم اجبروه على الحضور، وقد عرض عليه الأمير عبد الله أمورا كثيرة تتعلق بترقيته ووضعه في منصب راق إلا انه لم يقبل بذلك.[٩١]

وتقول الراوية نجلاء:

بعد ما رحلنا قعدنا سنتين بنابلس ثم رحنا على طولكرم، لان نواف ونايفة تعينو للتدريس في طولكرم، واستأجر أبوي دار عند الفاضلية. وظلينا فيها حيث توفي أبوي شاكر فيها عام ١٩٦٤,[٩٢]

تكثر تجمعات عرب أبو كشك خارج الضفة الغربية في اربد والكويت والسعودية والكرك وأمريكا. ومنهم من شغل مناصب مهمة مثل نواف ابن الشيخ شاكر الذي شغل نائب وزير المياه والكهرباء في الكويت، وغازي ابن سيف الدين الذي عمل في دائرة الموظفين في الكويت، ومحمد ابن الشيخ شاكر الذي عمل في السفارة الكويتية في أمريكا، وعوني ابن الشيخ شاكر الذي عمل في الظهران وكان مسؤولا في مجلة الارامكو في مصفاة البترول ومحمد أحمد إسماعيل أبو كشك وهو مناضل اعتقل عام ١٩٧٥ حتى عام ١٩٨٥، وهو الآن من الأسرى المحررين.[٩٣]

وقد استمرت الأطماع بأراضي أبو كشك حتى بعد التهجير ولكن أبناء أبو كشك أثبتوا

جدارتهم في الدفاع عنها، حيث قال الراوي محمد أبو كشك:

كان في ارض في الغور بيزرعوها أبو كشك بعد النكبة والتهجير تتكون من خمسين دونم للحكومة، وبيدفعوا كل سنة ٥ دنانير لمدة ٥ سنين وبعديها بتكون الهم. أجا واحد اسمه ادهم الضامن بدو يستولي على الأرض بحجة أنها تابعة لأراضيه وفي جيران شهدوا معه لمصلحته. قام سيف الدين بالشكوى للمحكمة في رام الله، وبعد عدة جلسات حكمت المحكمة لأدهم الضامن. فقام سيف الدين وقال للقاضي: انتي حكمك ارتباطي وغير عادل وشكرا الك يا بيك، ودار ظهره بدوا يطلع. قال له ما بصير تطلع من المحكمة. قال للقاضي، وهو من دار عبد الهادي وهم ناس معروفين: بدي اطلع من المحكمة وإذا كنت من دار عبد الهادي رجعني عن الباب. وراح الضامن مع جماعة عند الملك وشهدو معاه، وبذلك حصل على قرار من الملك بعودة الأرض لصاحبها الأساسي ونشره في الجريدة. وكان سيف الدين في نابلس جاءه ناس وقالوا له قريت شو في بالجريدة. فقرأها وقال: "علي الطلاق ما برجع على نابلس حتى ارجع الأرض". ويشرِّق على الأردن، وهناك كان يعرف مدير مكتب الملك واسمه التلهوني، وقال له بدي أقابل الملك، فقال له بخصوص شو؟ قال له: إحنا تعرضنا للظلم من الملك بقراره. قال له: شو بتقول على الملك؟ فقدم له عريضة بتوقيع ١٥٠ عيلة من أبو كشك بالأردن وكل عيلة من عدة أفراد وقال له بدي أقدمها للملك، وأصر عليه. ولما دخل على الملك كان أجرأ. وقال له: أنت يا صاحب الجلالة، الملك حسين، ظلمتنا ونحن ناس لا نقبل الظلم فنحن اضطهدنا وأخرجنا من بلادنا من قبل شيوخ الدول العربية. ولولا الدول العربية نصحوا المرحوم الشيخ شاكر بالرحيل خوفا من نيران المدفعية بالمستقبل مرحلناش. يا ريت إنا نفضل تحت المدفعية وما رحلنا وشفنا الذل. فطلب الملك الأشخاص المعنيين ومدير الأراضي والداخلية وطلب منهم تفسير لذلك، فوضحوا له الأمور وقالوا له إن الضامن استولى على الأرض بالغش والسلبطة. فأصدر الملك قرار لإرجاعها إلى أبو كشك. ولكن للأسف بعد فتره قصيرة قامت حرب ال ٦٧ وسقطت البلاد وتهجروا الناس من جديد. ولكن سيف الدين أصر على نشر القرار في الجريدة، ووفّى بوعده".[٩٤]

ومن الأعمال البطولية، موقف شريف أبو كشك حيث قال الراوي محمد أبو كشك:

مرة أم ماجد اندعس واحد تحت دارهم، وشافت الناس مجتمعين حول الشوفير. قالت: ولا واحد يحكي معاه هذا قريبنا. أجا أبو ماجد قالت له: هيك هيك، خش عنده وقال له: قوم وخذ سيارتك وروح على الخليل وبس بدك اتخرب بالخليل خرب، ماليش علاقة. واجتمع أبو ماجد بأهل المدعوس وقال له شو بدكم قالوا له: الولد انقتل، فقال لهم: واحد غريب ضرب الولد شو صار، ١٠٠ واحد بنضرب وقال لهم: دية الولد الطاق مضاعف وحل المشكلة وروح كل واحد على داره.[٩٥]

وبهذا تشتت أبناء القرية في أماكن متفرقة من العالم حيث أجمع الرواة من أبناء القرية على أن أماكن اللجوء تعددت ومنها الضفة الغربية: وتحديدا في طولكرم، رام الله، ذنّابة، قلقيلية،

نابلس، مخيم الفارعة، اللد، وداخل الخط الاخضر، والضفة الشرقية (الأردن)، وتحديدا في عمّان، إربد، الرصيفة، العقبة، والزرقاء، بالاضافة الى أبو ظبي، الكويت، والسعودية. أما خارج الوطن العربي، فيتواجدون في أمريكا، وغيرها من الدول الأجنبية.

القرية اليوم

يحتل مجمع "مسيج" لصناعة الخردوات العسكرية الموقع ورقعة كبيرة محيطة به. وينبت الصبار وشجر اللوز قرب معبر بني فوق الطريق العام الذي يصل إلى المجمع. وثمة خارج السياج في الركن الجنوبي الشرقي من القرية، بقايا منزلين كان أحدهما مدرسة خاصة لأولاد قرية السوالمة المجاورة.[٩٦]

قال الراوي محمد أبو كشك:

> مريت عن قريتنا كثير وأنا أشتغل. اليهود محوطينها بمستوطنات، في أرضنا الشرقية مستوطنات "رماتايم"، "رمات هادار"، و "هادار"، وفي أرضنا الشمالية مستوطنات "رعنانا"، "هرتسيليا"، و "رماتا شارون" وفي أرضنا الجنوبية مستوطنة "ملبس".[٩٧]

ولا زالت الأطماع الصهيونية قائمه لنزع العديد من الأراضي الفلسطينية تمهيدا لتفريغها من أهلها وإقامة المزيد من المستعمرات، حيث قال الراوي محمد أبو كشك:

> حاول اليهود قبل فتره من أربع خمس سنين، نزع أراضي أبو كشك حيث أنها مسجله بالطابو في السجل الإسلامي باسم أبو كشك. وأغرونا بمصاري كثير حوالي ١٢٠ مليون دولار، وإحنا من موقف وطني ما بنقدر نتحمل هالمسؤولية لأنها أرض وقف، فاجتمع عدد من كبار العيلة وقلنالهم مع السلامة. وأنا قابلت أبو عمار [ياسر عرفات] مشان الموضوع وقال لي ما اتردوا على حدى. فنحن نعتبرها رمزا.[٩٨]

كما أصبح الموقع اليوم ضمن ضواحي بلدة "هيرتسليا"، الآخذة في التوسع، كما أقيمت على أراضيها مستوطنة "شمعون نيف هادار".[٩٩]

الحنين والشوق

لم يستطع أحد من حمولة أبو كشك والعربان الآخرين زيارة منطقة عرب أبو كشك، فقد تحولت إلى منطقة عسكرية إسرائيلية. وقد حافظ أهالي القرية بشكل كبير على علاقتهم مع بعضهم البعض، فيما يتعلق بعلاقات النسب والتزاوج.[١٠٠]

وأجمع الرواة على تمسكهم بحق العودة وأنهم يتأملون العودة إلى أرضهم ولو في آخر يوم في حياتهم. ويقول الراوي أحمد أبو كشك:

بتمنى أروح هناك على قريتنا ولو شهر وأموت.[١٠١]

أما الراوي محمد احمد صالح أبو كشك، فيقول:

فش فلسطيني إلا بفكر في بيته وأرضه، إحنا بنورث القضية من جيلنا للجيل اللي بعده، قضية فلسطين في الذاكرة لا تنسى، ورح تستمر هالقضية. هاي القضية من سنة ال ١٩١٧ ما خلصت ولا توقف النضال، لا يمكن نستسلم. حتى لو قبلت أنا بالتعويض المالي أولادي بعد كم سنة رح يرفضو ويطالبو بحق العودة، لو تنازل كل العالم عن حق العودة أنا ما بتنازل. حتى لو ما حققناش العودة رح نضل نطالب فيها لو بعد ميت سنة. ولا فلسطيني عنده شرف بقبل التعويض مهما كان المبلغ حتى لو مليون دولار. وان تنازلت واخدت المليون دولار بكون لساني اللي تنازل بس قلبي ما تنازل.[١٠٢]

وقال الراوي محمد احمد هويدي:

إخواني اللي بالبلد، راحوا عالارض تاعتنا بيافا وشافوها. إخوتي معهم هوية إسرائيلية، ما في بيوت بالبلد، هدوها. مرة قلت الهم بدي أروح على مقام سيدنا علي بيافا، بعديها قلت الهم بدي أشوف أرضنا بعد ما صلينا، إلا وشفتها.. كلها ممنوع الدخول عليها، عاملينها معسكر جيش. كل أرضنا وارض جيراننا صايرة معسكر جيش. كان في ناس من أهل البلاد بتسللو بالليل عشان يجيبو برتقان، اشي يرجع واشي ينقتل، واشي ميجيبش، كتير ناس راحت وانطخت بالدوريات تاعة الحدود.

ويتابع:

أنا برفض كليا أي تعويض عن حق العودة. بدي ارجع على أرضنا بأبو كشك في يافا. أنا نفسي اروح ازور بلدي وازور مقام سيدنا علي بيافا. كان كتير قريب على بلدنا، وكانت الناس بتروح على المقام وتدبح قرابين، أنا بعرف البلد تاعتي وبعرف اروح عليها لو بغيروها ولو شو ما بعملوا. رحت عاللد زيارة عند اخوتي، والي بنت متجوزة عند دار عمها باللد، اتجوزت ابن عمها هناك، اخواتي ضلو باللد، بنتي بتيجي بتزورني من اللد كل فترة .[١٠٣]

وقال الروي ماجد أبو كشك:

لما احتلونا اليهود في السبعة وستين، رحت على أبو كشك بس ما قدرنا نفوت. الدور كلها

مسيجة عاملينها معسكر للتدريب بس اطلعنا من بعيد، حتى القبور تبعونا ما سمحولنا نشوفها.[١٠٤]

أما الراوية نجلاء، فتقول:

لما فتحت الطريق، رحنا شفنا بيتنا... كان فيه يهود وكان شباك المطبخ فاتحينو درج وجنينة كبيرة .[١٠٥]

ولأول مرة وبعد نكبة عام ١٩٤٨، تجمع أفراد عشيرة أبو كشك يوم الجمعة الموافق لتاريخ ٢٧ تشرين أول ١٩٩٥، أي بعد إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية، وذلك في منزل المرحوم الشيخ شريف أبو كشك شقيق الشيخ المرحوم شاكر أبو كشك في طولكرم. حيث التئم شمل العائلة من الداخل والخارج وتعارفوا على بعض في أجواء مفعمة بالفرح تارة، وبالحزن تارة أخرى. وقد أكد أفراد العشيرة على ضرورة الالتقاء والتواصل رغم الظروف والتحديات.

الخاتمة

حاول هذا البحث الإجابة عن السؤال الرئيس المقدم والذي مفاده: كيف تم تهجير عرب أبو كشك والقرى المحيطة من أراضيهم؟ ولماذا؟ ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال، اعتمدت الدراسة على منهجية علمية جمعت بين التاريخ الشفوي والمنهج التاريخي. وخلصت الباحثة إلى القول، بأن تهجير الأهالي من قراهم وأراضيهم الذي قامت به قوات الاحتلال الصهيونية مخططا له مسبقا. وما عمليات الاستيطان الأولى في فلسطين وإقامة المستعمرات العديدة إلا تمهيدا لذلك، بالإضافة إلى شراء الأراضي بطرق غير شرعية، والقيام بالعديد من المجازر والمذابح، وتتويجها بحرب عام ١٩٤٨، وذلك لإرهاب السكان وإجبارهم على الخروج من أراضيهم وقراهم. وتمثلت هذه الأساليب:

أولا: قيام منظمات الهاغاناه والارغون بالاعتداء على القرية والمناطق المحيطة، وإطلاق النار والتدمير واختطاف خمسة من زعماء القرية.
ثانيا: اقتراف المجازر في بعض القرى المجاورة لترويع الأهالي وإرغامهم على الهجرة.
ثالثا: نشوب حرب ١٩٤٨ واستخدام القوة العسكرية لامتلاك الأراضي، بالإضافة إلى الحرب النفسية التي تعرض لها أبناء القرية كالخوف وانعدام الأمن.
رابعا: التآمر مع الدول الغربية ذات المصالح المشتركة مع إسرائيل، وخاصة البريطانيين الذين وقفوا مع المنظمات الصهيونية، وقدموا لها كل ما تحتاج من أموال وسلاح.

وإذ نجحت الصهيونية في الاستيلاء على الأرض، وفصل أهلها عنها وتم تشتيتهم في أنحاء الأرض فيما يمكن وصفه بالإبادة الجغرافية، فهي لم تنجح في القضاء على الشعب الفلسطيني الذي بقي حيا ومتماسكا إلى حد كبير. فلم يندثر كما اندثرت قبله أمم بسبب كوارث أقل جسامة.

إن حق عودة اللاجئين والمهجرين إلى أراضيهم وقراهم التي أخرجوا منها بالقوة حقا مقدسا لا يجوز التفريط به أو التلاعب فيه. ويظل نداء اللاجئين ومعاناتهم وآلامهم ليس مجرد دعوة أو توسل أو لفت للانتباه، بل هو صيحة تحذير قبل أن تفوتنا آخر رحلات المستقبل، ولا نترك لأبنائنا غير عار ضياع الأرض والهوية. إن هذا البحث يتحدث عن الماضي لاستشراف المستقبل، ويأخذ من ذكرى النكبة الأليمة شرطها القاسي وهو أن التخاذل دائما ما يكون باهض الثمن.

النتائج والتوصيات

تناول بحث قرية أبو كشك كإحدى القرى التي دمرها الاحتلال الصهيوني في العام ١٩٤٨، وخلصت الباحثة بالنتائج والتوصيات التالية:

أولا: أبو كشك قرية عربية من القرى المهمة التي تقع في قضاء يافا.
ثانيا: كثرة عيون الماء والأودية في القرية، فهي تتمتع بأرض وسهول خصبة، وتشتهر بزراعة الحمضيات حيث اعتمد الأهالي اعتمادا كليا على الزراعة وتربية المواشي في حياتهم الاقتصادية التي تطرق إليها البحث بشيء من التفصيل.
ثالثا: شارك أهالي القرية في الثورات الفلسطينية ضد المد الصهيوني الزاحف على أراضي القرية والمناطق المجاورة لها، واستشهد العديد من الشباب منها وخاصة في ثورة ١٩٢١.
رابعا: كان في القرية مدرسة ابتدائية حتى الصف السابع، وديوان للعائلة يمثل كافة النشاطات الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية.
خامسا: تمتع أهالي القرية بعلاقات اجتماعية وطيدة مع بعضهم البعض ومع أهالي القرى المجاورة وبعادات وتقاليد تميزهم عن غيرهم.
سادسا: سيطرة الصهاينة على أراضي أبو كشك مثلها مثل باقي قرى ومدن فلسطين عام ١٩٤٨ حيث أزيلت كافة معالمها الحضارية.
سابعا: لم تزد نكبة عام ١٩٤٨ عرب أبو كشك إلا العزم والتقدم في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومواصلة النضال على درب الحقوق الوطنية الفلسطينية المشروعة.

الهوامـش

[١] كناعنة، شريف. القرى الفلسطينية المدمرة رقم "٩"، أبو كشك. بير زيت: جامعة بير زيت، ١٩٩٠، ص٥.
[٢] الدباغ، مصطفى مراد. موسوعة بلادنا فلسطين، ج١، ق١، بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥، ص ص٢٧١-٢٧٤.
[٣] كناعنة، شريف. مصدر سبق ذكره، ص ص ٢١- ٢٦.
[٤] مقابلة شخصية مع الراوي ماجد شريف أبو كشك، ٧٣ عاما، طولكرم، بتاريخ ١٢/ ٤/ ٢٠٠٧.
[٥] أبو حجر، آمنة. موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، ج٢، عمان: دار أسامه، ٢٠٠٣، ص١٠١٤.
[٦] الدجاني، أحمد زكي. مدينتنا يافا وثورة ١٩٣٦. القاهرة: منظمة التحرير الفلسطينية، المجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٩، ص ٦٦.
[٧] الخالدي، وليد. كي لا ننسى، قرى فلسطين التي دمرتها اسرائيل سنة ١٩٤. ترجمة حسني زينة، ط١، .بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧، ص٦٨٤.
[٨] الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ج٧، ص ٣٤٥.
[٩] الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص٦٨٤.
[١٠] المصدر السابق، ص ٦٨٤.
[١١] كناعنة، شريف. "أبو كشك"، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.
[١٢] الجنيه الفلسطيني يعادل الجنيه الإسترليني.
[١٣] الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.
[١٤] موقع دنيا الوطن على شبكة الانترنت www.alwatanvoice.com، (١٥ نيسان ٢٠٠٧).
[١٥] كناعنة، شريف. مصدر سبق ذكره، ص١٤.
[١٦] موقع دنيا الوطن على شبكة الانترنت، مصدر سبق ذكره.
[١٧] مقابلة شخصية مع الراوي ماجد شريف أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[١٨] بمناسبة نصب تمثال الفيلد مارشال المورد الذي في بئر السبع دعا المندوب السامي مشايخ عربان بئر السبع لوليمة غذاء وامتنعوا عن تناول الطعام إلا إذا صدر العفو عن الشيخ شاكر وهكذا كان.
[١٩] السفري، عيسى. فلسطين العربية بين الانتداب الصهيونية القدس: منشورات صلاح الدين، ١٩٨١، ص ص ٧٣-٧٨.
[٢٠] مقابلة شخصية مع الراوية إحسان شاكر أبو كشك، ٧٠ عاما، طولكرم، بتاريخ ١٢/ ٤/ ٢٠٠٧.
[٢١] مقابلة شخصية مع الراوي ماجد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٢٢] كناعنة، شريف. مصدر سبق ذكره، ص ٣٨.
[٢٣] المصدر السابق، ص٣٨
[٢٤] المصدر السابق، ص٤٠
[٢٥] المصدر السابق، ص٤٠
[٢٦] موقع دنيا الوطن على شبكة الانترنت، www.alwatanvoice.com ، مصدر سبق ذكره.
[٢٧] كناعنه، شريف. مصدر سبق ذكره، ص٤٠.
[٢٨] المصدر السابق، ص٤١.
[٢٩] الدجاني، أحمد زكي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥.
[٣٠] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص ص ٤٢ – ٤٣.
[٣١] مقابلة مع إحسان أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٣٢] كناعنه، شريف، مصدر سبق ذكره، ص٤٣.
[٣٣] شانون، دافيد (محرر). مذكرات اريل شارون. ترجمة انطوان عبيد، ط١، ١٩٩٢، ص ٤٨.

[٣٤] الخالدي، وليد، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨٤.
[٣٥] فلسطين والقضية الفلسطينية، مصدر سابق، ص ٢٢٥.
[٣٦] الدجاني، احمد زكي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.
[٣٧] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص٢٨.
[٣٨] الخالدي، وليد، مصدر سبق ذكره، ص٦٨٤.
[٣٩] مقابلة شخصية مع الراوي ماجد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٤٠] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص٣٠.
[٤١] مقابلة مع الراوي ماجد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٤٢] مقابلة مع الراوية إحسان أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٤٣] مقابلة مع الراوية نجلاء شاكر أبو كشك، ٧٩ عاما، طولكرم، بتاريخ ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٧.
[٤٤] الدجاني، أحمد زكي. مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.
[٤٥] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.
[٤٦] مقابلة شخصية مع الراوي محمد احمد إسماعيل أبو كشك (أبو جواد) ٧٣ عاما، مخيم عسكر الجديد – نابلس، بتاريخ ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٧.
[٤٧] مقابلة مع ماجد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٤٨] مقابلة مع إحسان أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٤٩] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٨– ٣٢.
[٥٠] مقابلة شخصية مع الراوي ماجد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٥١] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص١٩، ص٣٢.
[٥٢] المصدر السابق، ص٣٠.
[٥٣] مقابلة مع الراوي احمد محمد حسن أبو كشك، ٧٤ عاما، مخيم عسكر الجديد – نابلس بتاريخ ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٧.
[٥٤] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص٣٢.
[٥٥] المصدر السابق، ص ٣٥.
[٥٦] المصدر السابق، ص ١٤؛ ص ٢٥.
[٥٧] مقابلة شخصية مع الراوي ماجد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٥٨] مقابلة شخصيه مع الراوية نجلاء أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٥٩] كناعنه، شريف، مصدر سبق ذكره، ص١٦.
[٦٠] مقابلة شخصية مع الراوي محمد أحمد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٦١] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص١٢.
[٦٢] المصدر السابق، ص٢٠.
[٦٣] موقع دنيا الوطن على شبكة الانترنت: www.alwatanvoice.com (تاريخ الدخول ١٥/ ٤/ ٢٠٠٧).
[٦٤] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص٣٣.
[٦٥] مقابلة شخصية مع الراوي عبد القادر أحمد محمد أبو كشك، ٦٥ عاما، مخيم عسكر القديم ـ نابلس، بتاريخ ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٧.
[٦٦] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص٣٤.
[٦٧] مقابلة شخصيه مع الراوي ماجد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٦٨] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص٣٤.
[٦٩] مقابلة شخصيه مع الراوي محمد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٧٠] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص٣٥.

[٧١] مقابلة شخصيه مع الراوي محمد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٧٢] المصدر السابق.
[٧٣] مقابلة شخصية مع الراوي محمود محمد حسن أبو كشك ٨٥ عاما، مخيم عسكر القديم – نابلس، بتاريخ ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٧.
[٧٤] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص١٥.
[٧٥] أحمد زكي الدجاني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩.
[٧٦] الخالدي، وليد، مصدر سبق ذكره، ص٦٨٤.
[٧٧] الدجاني، أحمد زكي، مصدر سبق ذكره، ص١١٨.
[٧٨] كناعنه، شريف، مصدر سبق ذكره، ص٣٢.
[٧٩] مقابلة شخصيه مع الراوي أحمد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٨٠] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص٥.
[٨١] المصدر السابق، ص٨.
[٨٢] المصدر السابق، ص٩.
[٨٣] المصدر السابق، ص١١.
[٨٤] المصدر السابق، ص١٣.
[٨٥] المصدر السابق، ص٢٢؛ ص٢٥.
[٨٦] المصدر السابق، ص٢٣.
[٨٧] المصدر السابق، ص٤٠.
[٨٨] المصدر السابق، ص٣٣.
[٨٩] موقع دنيا الوطن على شبكة الانترنت: www.alwatanvoice.com، (تاريخ الدخول ١٥/ ٤/ ٢٠٠٧).
[٩٠] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص ص٤٣- ٤٤.
[٩١] المصدر السابق، ص ص ٤٤- ٤٥.
[٩٢] مقابلة شخصية مع الراوية نجلاء أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٩٣] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.
[٩٤] مقابلة شخصية مع الراوي محمد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٩٥] المصدر السابق.
[٩٦] الخالدي، وليد، مصدر سبق ذكره، ص٦٨٥.
[٩٧] مقابلة شخصية مع الراوي محمد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[٩٨] المصدر السابق.
[٩٩] المصدر السابق.
[١٠٠] كناعنة، شريف، مصدر سبق ذكره، ص٤٥.
[١٠١] مقابلة شخصية مع الراوي احمد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[١٠٢] أبو ضهير، علاء. شهود النكبة روايات شفوية للشهود العيان على حرب عام ١٩٤٨. نابلس: جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٦.
[١٠٣] المصدر السابق، ص ص ١٠٧-١٠٨.
[١٠٤] مقابلة مع الراوي ماجد أبو كشك، مصدر سبق ذكره.
[١٠٥] أبو ضهير، علاء. مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣.

ملحق الصور:

الأمير سيف الدين أبو كشك مع الأمير عبدالله، الذي أصبح لاحقاً ملك الأردن.
(المصدر: www.palestineremembered.com)

عائلة أبو كشك قبل النكبة. (المصدر: www.palestineremembered.com)

صورة جوية لمنطقة "هود هشارون" التي جزد كبير منها يقع على أراضي قرية أبو كشك، ويظهر في عمق الصورة بلدة "كفار سابا" المقامة على أراضي قرية كفر سابا. (المصدر: www.nakbainhebrew.org)